

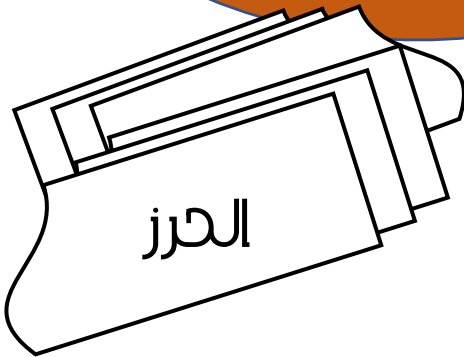
سعاد الراعي

الحرز

— رواية —

الأستاذ عادل سالم...
رئيس تحرير صحيفة ديوان العرب التي.. لم
تكتفِ بأن تكون منبراً للنشر، بل اختارت أن تكون
رفيقة نصّ..
إلى من واكب هذه الرواية وهي تتشكّل جزءاً بعد
جزء، ومنح نصوصي حقّها في العبور الحرّ، دون
وصاية أو تزيين..
أضع هذه نسخة من الرواية بين يديك بوصفها

ثمرة طريقٍ مشترك، طريقٍ أحترم الكلمة، وأمن
بأن السرد لا يكتمل إلا حين يجد قارئه
امتناني لك ليس تناءً، بل اعترافاً بقيمة الشراكة
الصامتة بين الكاتب والمُنبر، حيث يُترك النص
ليقول ما يشاء، ويُترك المعنى ليصل كما هو.
مع الاعتزاز



سعاد الراعي

المانيا/ درسدن 2026.01.17

سعاد الراعي

الحرز

-رواية-

Title: العنوان:
The Amulet الحرز

Author: تأليف:
Suad Alraee سعاد الراعي

All Right reserved جميع الحقوق محفوظة

Cover design: تصميم الغلاف:
Tarik AL-Hilfi طارق الحلفي

First Edition 2026 الطبعة الأولى 2026

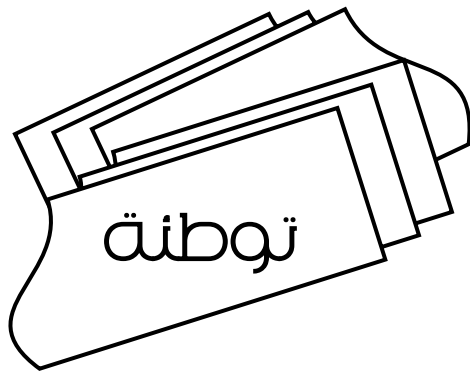
Aris/ Germany أريس/ ألمانيا

This book was printed in تمت طباعة هذا الكتاب في مطبعة
Backnang Press / Germany باكنانغ / ألمانيا

ISBN: رقم الإيداع/ الترخيم الدولي:

"978-3-9825711-2-6" "978-3-9825711-2-6"

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means. without the prior written permission of the author.



توطئة

لم تُكتب هذه الحكاية لتشير إلى مكان، ولا لتؤرّخ زمنًا بعينه، بل لتجعل من كل أرضٍ ساحةً لأسئلتها، ومن كل قارئٍ شاهدًا يعيد ترتيب خرائطه الداخلية موائمة لصوتها. فالأحداث هنا لا هوية لها، ولا ترفرف فوقها رايةٌ سوى راية الفوضى التي تهبّ حين ينهار النظام... إنها الفوضى التي تُطفئ الأسماء وتُبقي الأفعال، وتجلي في لوثتها كل ما كان يمارس بالسر أو مختبئًا ومحرمًا بالخوف أو العيب أو القانون، حتى يصير الليلُ واسعًا بما يكفي لتختبئ فيه الرذيلة، ويصير النهارُ عاجزًا عن غسل آثارها..

وفي قلب تلك العتمة تولد حكايا...

احداها...

ما تحكيه رواية الحرز...

الحرز... ليست رواية عن العنف ضد الطفولة فحسب، بل عن الضوء الذي يصرّ على أن يولد تحت الركام، عن الروح التي تُمسك بخيطها الأخير حتى اللحظة التي يتساوى فيها اليأس بالمعجزة.

إنها دعوة للقارئ أن يفتح حرزه الخاص، ذلك الحرز الذي يخفيه كل إنسان في صدره:

ذكري، خوف...

إذلال...

أو حبّ تعرض للخيانة...

وأن يتساءل:

أيّ سرّ نربطه حول أرواحنا كي لا يسقط في حمأة النسيان؟
إلى أين تصل الفوضى حين تُسرّح الوحوش من أقفاصها؟
وماذا يتبقى من الإنسان حين يصبح البقاء نفسه معركة؟

هنا، في هذه الصفحات، لا ينجو أحدٌ تمامًا، ولا يُهزم أحدٌ
بالكامل.

غير أن الحقيقة الوحيدة التي تبقى بعد انطفاء العواصف هي
أن طفلة صغيرة استطاعت، في لحظتها الأخيرة، أن تهزم
قاتلها...

وأن تترك لنا ما يذكّرنا:

بأن أرواح الضعفاء...

وإن سقطت...

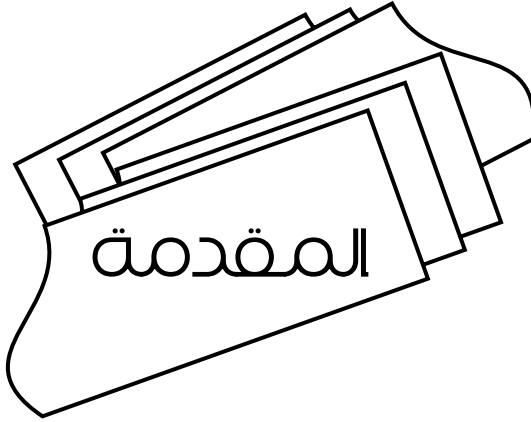
لا تسقط بلا أثر...

**

سعاد الراعي

درسدن/ المانيا

2025-12-10



المقدمة

النفس الملحمي في رواية الحرز للسيدة سعاد الراعي

تقدّم الروائيّة سعاد الراعي لروايتها بمقدمة ملحميّة نجده تقديمًا ضروريًا يسبق ما بعده من أحداث تالية حملها إلينا السرد إذ كانت تلك الأحداث نتيجة للمقدمة الأولى.

الرواية تبدأ بالموت وتعج في الوقت نفسه بالحركة. وقد أرادت من هذا النفس الملحمي أن تقول إنّ الوصف القادم سيكون غير عادي لأنّ ما يجري هو شيء عظيم نتيجة للحدث العظيم الذي ابتدأنا به.

والحدث هو مصرع الرئيس لم تذكر من هو الرئيس ولم نعرف المكان لكن الإبهام أحيانًا يكون أكثر فصاحة من الجهر لينطق عن الشخص والمكان..

(لم يكن مقتل الرئيس مجرد حدث سياسي عابر)
البداية كانت كذلك ولم تكتبها السيدة الراعي بشكل أفقي بل
جاءت بترتيب عمودي كلّ سطر بكلمة واحدة:

لم

يكن

مقتل

الرئيس

بدأت الرواية بحرف نفي تَكُون من حرفين أعقبتهما تلك البداية
عموديا كلمة من ثلاثة أحرف هي (يكن) ثم كلمة من أربعة
فستة أحرف، في تنام ذات دلالة على أنّ الوقائع تكبر بحجم
الكلمات، وإنّ ما رأيناه يشكّل نصف جملة بدأت بالنفي ليأتي
بعدها نصفها الآخر الأفقيّ فيحدد الإطار الملحميّ لمجريات
الأحداث:

(مجرد حدث سياسي عابر).

قلنا إنّ حدث ملحمي لأنّ القتل فيه هو أعلى سلطة في البلد
فإذا ما سقطت السلطة العليا مهما كانت، فإنّ الفوضى تنبثق
فجأة من دون وازع ولا رادع.

بل كان الشرارة الكامنة

ومن خلال الرّابط (بل) نستطيع أن نرتّب الوضع في أذهاننا
من هياج إلى بركان أعلى ومن حوادث إلى فوضى ومن قسوة
إلى تمزّق.

وحين ننقل إلى منتصف الرواية وهو خطّ تشابك الأحداث
يُعلن عن موت البطلة لتسير الرواية بعدها ببطلة حيّة مقتولة
(اغتنمت اللحظة. دفعت نفسها إلى حافة السرير محاولة

الهرب محاولة النّجاة ولو بفرصة ضئيلة لكنّ جسدها لم يتجاوز السرير رآته ينتزع المسدس من حزامه بحركة يأس وحقد تفوقا على الألم الذي سببته له. لم تنتظر روحها سوى ثانية واحدة...)

وإن كنت لا أريد أن أستبق الأحداث نجد أنّ الرواية تنتهي بموت فظيع أيضا يتعلق ببطلّة الرواية التي تمثل مجتمعا بكامله ينهار بعد مصرع الرئيس. إنّها البطلّة حياة التي يموت والدها فيأتي عمها الشرطي زمن الرئيس السابق فيعتدي على أمها ويتزوجها ثمّ يعتدي عليها وينقلب بعد مصرع الرئيس من شرطي يعمل لدى النظام القديم إلى زعيم إحدى العصابات التي تستغل الوضع الجديد وتدخل في صفقات منها بيع ابنة أخيه إلى مسلح يغتصبها ثم يبيعه إلى آخرين. وعندما تُنقل البطلّة حياة إلى المشفى يأتي متسللا إلى حجرتها ليستعيدها.

من خلال اللوحة التي طالعناها نرى أنّ الكاتبة استطاعت أن تنقل بدقة ملامح فترة صعبة مر بها البلد أو أيّ بلد كان من خلال اعتمادها على ركائز سردية موحية نشير إلى بعضها في النقاط التالية:

1. الوصف الخارجي الذي سُخر في العملية السردية تتناسق تماما مع الوصف الداخلي، لدينا مثال على ذلك هو المشاهد التي قاومت فيها البطلّة عمها في أكثر من موقف كانت الكلمات تعبر عن أعماقها الداخلية ونفسياتها وأفكارها حتّى تسقط منتصرةً في آخر صراع لها مع عدو شرس لا يعرف

الرحمة.

2. ظهور البطلة البديلة وهي الممرضة (إيفا) التي حلت لفترة معينة في المشفى لمعالجة المرضى والجرحى فقد توحدت شخصيتها مع شخصية البطلة وأكملت دورها إذ يمكن أن أقول إن الممرضة هي نفسها البطلة التي انطلقت من قيود الأسر وسجن العادات. فمصرع البطلة خلق وعيا سيتمثل في المستقبل بنساء جديديات على شكل إيفا، وهذه الفكرة يلخصها الجواهري بقوله:

لثورة الفكر تاريخ يحدثنا بأن ألف مسيح دونها صلبها.

3. توازي الأديان والمذاهب من غير صراع ولا عدا، من خلال الوصف ندرك أنّ البطلة (حياة) من مجتمع مسلم والممرضة من مجتمع مسيحي قد تكون من أصل آثوري لأنّها تتحدث لغة البلد إنها ضحية تنفذ أناسا بغض النظر عن دينهم فالعمق الرّوحي للرواية يسير باتجاه السلام الذي دعا إليه سيد السلام المسيح.

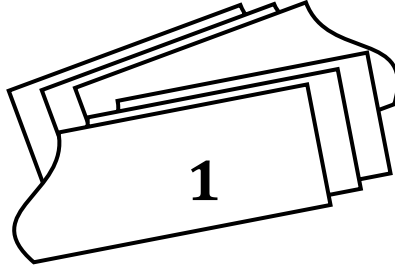
4. وإذا كانت الكاتبة قد رسمت صورة قويّة للبطلة فإنّها رسمت أيضا صورة سلبية للأُمّ التي تقف مستسلمة للأحداث وهي صورة تكاد تكون حقيقيّة للمرأة في القرن العشرين في معظم الدول العربيّة مادامت غير مستقلة ماديا فهي تقع تحت رحمة الرجل لأنّها تعيش في مجتمع ذكوريّ بحت مازال يراها عورة لا يسترها إلاّ الرّجل.

5. إنَّ الكاتبة تنطلق من هموم محلية لا تبقىها في محلّيتها بل تجعل من تلك الهموم همًّا مشتركًا بيننا وبين الشعوب الأخرى فالمكان غير المحدد والزمان الغامض وظهور التيارات التي تتاجر بالدّين لن يمنع القارئ من أن يؤوّل أحداث الرواية وملاحمها بانها قد جرت في بلده سواء أكان عراقيًّا أم مصريًّا أم تونسيًّا أم لبيبيًّا أو من أيّ بلد كان. في الختام لا بدّ من أن نقول كلمة حق هي إنَّ رواية (الحرز) تستحقّ! القراءة بامتياز.

الدكتور قصي الشيخ عسكر

نوتنغهام/ بريطانيا

2025-12-28



لم

يكن

مقتل

الرئيس

مجرّد حادثٍ سياسيٍ عابرٍ،

بل كان الشرارة التي أطلقت النار الكامنة في هشيم البلاد.

ففي اللحظة التي سقط فيها جسده مضرّجاً بدمه، سقطت معه هيبة الدولة، وتهافت الأعمدة التي طالما أوهمت الناس

بصلابتها. لم تمضِ ساعات حتى غادر أفراد عائلته خلسةً نحو الحدود، يتبعهم كبار المسؤولين كمن يهرب من طوفانٍ قادم. أمّا الشوارع، فقد امتلأت بغضبٍ يشتعل كوقودٍ أريق منذ زمنٍ طويلٍ ينتظر من يُشعل فتيله.

حينها انفتحت أبواب الجحيم على مصاريعها؛ خرج

الغاضبون

والمتوردون

والناقمون

من كل صوب، وسقطت لغة الخوف أمام هدير الحشود. حاول رجال السلطة أن يقاوموا بالسلاح، لكن الرصاص لم يعد يرهب أحدًا.

سقط كثيرون في الطرقات، وتلطّخت الأرصفة بدماء المقهورين، حتى بات الموت مشهدًا عابرًا لا يثير الدهشة.

في

ذلك

الفراغ

الذي خَلّفه غياب الدولة، صعّدت قوى الظلام من ججورها.
تقاسمت العصابات المدن كما تُقسّم الغنائم، يرسم كل فصيل
حدوده بدماء الآخرين.

صار

الانتماء هو القانون...

العشيرة هي الوطن...

والسلاح هو القاضي الأعلى...

في كل زاويةٍ ولد تاجرٌ حربٍ جديد، يبيع الخراب كسلعةٍ
ثمينة:

سماسرةٌ سلاح،

مهزّبو مخدرات،

تجارٌ أجسادٍ...

يختبئون خلف شعاراتٍ جوفاء.

تسلّقوا الخراب بخقّة، حتى صار لكلّ منهم مملكة صغيرة
تحرسها البنادق وتُعديها الرشوة والخوف.

استُبيحت المدن كما تُستباح الغنائم بعد معركةٍ طويلةٍ.
 صار القتل وسيلةً لتصفية الحسابات القديمة، والخطف طقسًا
 يوميًا لإذلال الآخرين.
 كانت النار تأكل البنايات التي حملت يومًا اسم "مؤسسات
 الدولة"، ولا يبقى منها سوى الرماد.
 النهب في وضح النهار. تُقتلع الأبواب والنوافذ ويحمّل
 البلاط من أرضيات القصور التي هجرها أصحابها أو قُتلوا
 داخلها.

لم يعد أحد يسأل: "لمن هذا؟"

فكلّ ما تقع عليه العين صار ملكًا للقويّ، وما لم يستطع
 حمله يتركه ليعود إليه لاحقًا مع مزيدٍ من الرجال والسلاح.
 المهزّبون تنفّسوا، كما لو أُعيد إليهم الهواء.

تحوّلت الحدود إلى أسواقٍ مفتوحةٍ للمغادرين واليائسين، يُدفع
 فيها ثمن النجاة ذهبًا أو دمًا. بعضهم عبر إلى الضفة الأخرى،
 وبعضهم التهمته الصحراء قبل أن يبلغ الوهم الذي يسمّونه
 "أمانًا."

حتى المستشفيات، تلك التي كانت آخر ملاذٍ للضعفاء، لم تنج
 من الفوضى.

اقتحمتها المجموعات المسلحة بحثًا عن الدواء كما يبحث اللص عن الغنيمة، اختلط أنين الجرحى بصيحات الناهيين. لم يبقَ من المراكز الطبية سوى مستشفى وحيد، يرفرف عليه علم الصليب الأحمر، تحرسه منظمةٌ دوليةٌ تتمتع بحماية دولية.

كان ذلك المستشفى كجزيرة صغيرة وسط بحرٍ من الجنون، تحيط بها النيران من الجهات الأربع.

في ليلةٍ اختنق فيها الأفقُ بالدخان، حتى حُيِّل للناس أن القمر قد حُنق في مهده، توقفت أمام بوابة المستشفى سيارة "جيب" عسكرية. كانت أضواؤها تشقّ الضباب كخناجر من نور، فيما تفوح من معدنها رائحة البارود، كأنها عادت تجرُّ أصداء معركةٍ خاسرةٍ على أطراف المدينة.

ترجّلت منها امرأتان، إحداهما صبية في مطلع عمرها، تنزف بغزارة، وقد غمر الدم الجزء الأوسط والأسفل من ثوبها، تتكئ على امرأةٍ تبدو ملامحها مشتتة بالأمومة والوجل. كان في عيني الأمِّ خوفٌ مكثف، خليط من رجاءٍ وعجز، بينما ترتعش يداها محاولةً أن تُبقي ابنتها واقفة للحظاتٍ أطول.

ما إن بلغنا الباب حتى خارت قواهما، وسقطت الشابة على الإسفلت البارد، تفيض دماؤها كأنها تسقي الأرض العطشى بالوجع.
التفت حولهما طاقم المستشفى بسرعة مشوبة بالرهبة،

فكلّ إنقاذٍ

في زمن الحرب

مغامرة.

حملوها على نقالةٍ صدئة، جرى بها المسعفون نحو الداخل، فيما بقيت الأمّ تتبعهم بعينين غارقتين في الدمع والذهول.

تحركت السيارة التي أقلتتهما بسرعة، تلوح فوهات الرشاشات من نوافذها المفتوحة، واختفت في عتمة الطريق كوحشٍ يبتلع نفسه في الظلام. بقي الصدى فقط، أزيز محركاتٍ وطلقاتٍ متقطعة تنتردد بين جدران الليل الذي لم يعرف بعدُ طريقه إلى الفجر.

هكذا...

بدأ زمنٌ جديد، لا هو سلمٌ ولا هو حرب.
زمنٌ يتساوى فيه الموتى والأحياء، وتُختبر فيه إنسانية البشر

عند حافة الانهيار.

كان الجميع يبحث عن خلاصٍ صغيرٍ في عالمٍ لم يعد يُشبههم.

وفي قلب ذلك الخراب، داخل المستشفى الوحيد، كانت حكايةٌ ما، حكايةٌ عن الوجد، عن البقاء، و عما يتبقى من النور حين تُطفئ الحرب آخر مواقدها.

حين أُدخلت إلى غرفة الإنعاش في الطوارئ، كانت جسداً ممدداً على حافة الغياب، غارقاً في صمتٍ ثقيلٍ يشبه آخر ما تبقى من الوعي قبل السقوط في العدم. تحركت الأيدي بخبرةٍ آلية، أعدوا قنينة المغذي، جهّزوا ما يلزم لإيقاف النزيف، فيما ظلت الممرضة تتفحص ذراع المريضة بحثاً عن وريدٍ مطواع. وحين كشفت عن ساعدها، اعترض نظرها ما بدا لها شيئاً غريباً: قطعة صغيرة من جلدٍ قديمٍ خُيَطت بعنايةٍ رتيبةٍ، كما تُخاط الأسرار في الصمت، مربوطة بحبلٍ متينٍ حول زندها كأنها عهدٌ لا يُمسّ..

حرز؟

تميمة؟

دعاء قديمٍ يختزن عمراً من الخوف والرجاء؟
مدّت الممرضة يدها لتفك الرباط وتسمح بمرور الدواء، لكن يد الصبية الأخرى، رغم وهنها، انكشفت فجأةً كأنها تدافع

عن حياتها الثانية. قبضت على كمّ رداؤها بقوة غريزية،
وبدت تلك القبضة أبلغ من كل صراخٍ مكتوم، تحمل رجاءً
لا يُقال:

– اتركها، إنها لي!

مالت الممرضة برفقٍ عليها، وبصوتٍ حاولت أن يجمع بين
العطف والاحتراف:

– لا تخافي، كل ما يخصك سيكون محفوظاً تحت وسادتك.
أنتِ في أيدي أمينة.

لكن الصبية فتحت عينيها بغتةً، بعينين متسعيتين من الفزع،
تحدقان كمن عاد من حافةٍ مظلمةٍ إلى ضوءٍ لا يعرفه.
لمحت في لهجة الممرضة نغمة غريبة، فأدركت أنها أجنبية.
تلقتت حولها، بحثت عن مألوفٍ فلم تجد سوى جدرانٍ بيضاء
لا تعرف الرحمة.

بصوتٍ متهدجٍ خرج من أعماقها قالت:

– أرجوك... احتفظي به عندك.

وإن متُّ... تصرفي به،

لكن لا ترميه في سلة النفايات...

إنه عمري...

ثم غابت ثانية في غيبوبةٍ كأنها سباتُ الطمانينة الأخيرة بعد
اعترافٍ موجه.

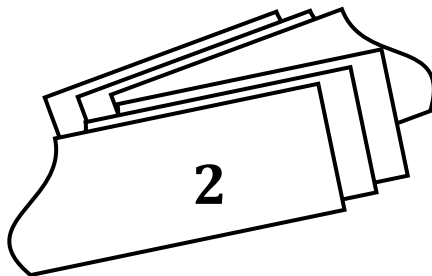
وقفت الممرضة لحظةً تتأمل الوجه المرهق، الشاحب، الذي كان رغم ذلك يحمل ملامح جمالٍ غامضٍ، كأن النور في أعماقه لا يريد أن ينطفئ.

مدّت يدها بخفيةٍ، ولقّت الحبل على الحرز برفقٍ، ثم دسّته في جيبها كمن يحتفظ بأمانةٍ مقدّسةٍ لا يجرؤ على خيانتها. كانت الممرضة لا تدري ما الذي يدفعها لتلك الرقة المفرطة تجاه مريضةٍ لا تعرفها.

ربما لأن في تلك القطعة الجلدية الصغيرة ما يشبه قصة حياةٍ أكملها، أو لأن في لمحة تلك العيون الغارقة بالرجرجة خوفَ إنسانةٍ ظلت طوال عمرها تدافع عن شيءٍ لا يراه سواها:

معنى، ذكرى،

أو حبّ دفينٍ لا ينبغي له ان يموت.



حين تأكّدت من أن هدير النزيف من جسد الفتاة قد انحسر، وأن نبض الأجهزة استعاد إيقاعه الهادئ كأنه تنفّس الحياة من جديد، خطت الممرضة خارج الغرفة بخطواتٍ متردّدة، تحمل في جيبها قلماً صغيراً أثقل من الحديد.

كان الصباح ما يزال حائراً بين العتمة والضوء، والممرّ الطويل يشبه مجرى نهرٍ فقد صوته، لا يُسمع فيه سوى أزيز خافتٍ لأجهزةٍ تصارع الصمت.

في نهاية الممرّ، كانت امرأة تجلس على مقعدٍ خشبيّ طويل، يداها معقودتان على صدرها كأنهما تصنعان حول قلبها حصناً هشاً من الرجاء، ووجهها شاحبٌ يفيض بخوفٍ لم يجد منفذاً سوى عينيها.

عرفت الممرضة، دون سؤال، أنها الأم. اقتربت منها بابتسامةٍ حاولت أن تُخفي ما يضطرب خلفها من ارتباك، وقالت ببضع كلماتٍ مقتضبةٍ إن الحالة مستقرة وإن الخطر قد انزاح...

لكنها لم تذكر شيئاً عن الحرز.

لم تستطع...

كان هناك شيءٌ غامضٌ، كأنه حارسٌ غير مرئيٍّ، يمنع الكلمات من الانفلات. أحست أن السرّ لم يعد يخصّ المريضة وحدها، بل صار وديعةً بينها وبين القدر، بين الرحمة والمصادفة.

حركت الممرضة نظرها بين ورقة الاستمارة والأم وسألت بهدوءٍ روتينيٍّ عن المعلومات اللازمة.

— الاسم؟

قالت الام بصوتٍ مبجوح: "حياة عبود."

— العمر؟

— أربعة عشر عامًا.

ثم أضافت بعد لحظةٍ ثقيلة: "متزوجة... ولم تُرزق بعد بأطفال."

ارتبكت الممرضة...

ارتدّ الصدى داخلها كصفعةٍ باردة:

أربعة عشر عامًا؟!!

متزوجة؟!!

لم تُرزق بعد بأطفال؟!!

كانت الكلمات تنغرز في وعيها مثل إبرة في عصب حي. تمتت ببعض العبارات الرسمية عن الفحص وما يترتب عليه، وانسحبت سريعاً كأنها نفرّ من شعورٍ لا تعرف له اسماً.

جلست الأم بعد أن اطمأنت قليلاً، لكن عينيها ظلّتا معلّقتين بالباب المغلق، لا تغادرانه كأن خلفه عمرها كلّه. كانت ملامحها تحكي عن امرأة استنزفها الزمن وهي تنتظر، امرأة تعرّفت إلى الخوف حتى صار وجهها آخر لها. كانت تعرف أن ابنتها، رغم صغرّها، حملت في جسدها عبء حكاية لا يحتملها قلبٌ واحد.

في تلك اللحظة، كانت الممرضة قد عادت إلى غرفتها الصغيرة عند طرف المستشفى، والليل ينسحب من حولها مثل ظلّ مرهق.

جلست أمام طاولتها الخشبية، وأخرجت من جيبها الحرز. كان قطعة صغيرة من الجلد الباهت، تفوح منه رائحة تشبه الغبار الممزوج بالذكريات، وتلتف حوله خيوطٌ خشنة تشبه الخيوط التي تشدّنا إلى الحياة حين نحاول الانفلات منها.

نظرت إليه طويلاً...

شيء ما في تلك القطعة كان يوحي بأنها ليست مجرد
تعويذة. كان فيها ما يُشبه النبض، أو ما تبقى من نبضٍ عالٍ
في الأشياء. تساءلت في نفسها:

ما الذي يدفع فتاةً لم تزل على أعتاب الطفولة إلى أن
تتشبث بهذا الحرز كما لو أنه خلاصها الأخير؟

أهو تذكّار أم غابت قبل الأوان؟

أم عهد حبٍّ باكرٍ لم يكتب له أن يكتمل؟

أم هو خيط خرافةٍ تغزلها الوحدة حين لا تجد ما تتوكأ
عليه سوى الأمل؟

لكنها، رغم ما تربّت عليه من عقلانية وواقعية، لم تجرؤ
على فكّ العقدة.

شعرت أن مسّ هذا السرّ بغير إذن صاحبتة خيانةٌ لروح
تتشبث بما تبقى لها من معنى. ضمّت الحرز بين راحتها
لحظةً كأنها تباركه بصمت، أو كأنها تستأذنه أن يبوح لها
ببعض ما يخفيه.

في تلك العزلة التي لا يُسمع فيها إلا صرير القلم على
الورق، أدركت الممرضة شيئاً لم تقرأه في كتب الطبّ ولا

في سجلات المستشفى:
 أن لكل إنسانٍ حرزًا خفيًا يحمله في صدره، لا من جلدٍ ولا
 من قماش، بل من ذكرى
 أو خوفٍ
 أو وعدٍ لم يكتمل.
 وأنا نعيش ونحرس هذا الحرز...
 نخفيه عن العيون ونخاف أن يسقط في سلة النسيان.

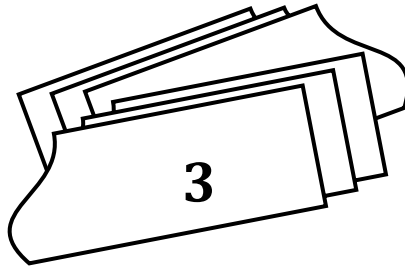
ربما كانت "حياة" ذلك الاسم الذي صار مفارقةً مؤلمة،
 أعمق وعيًا من كل من حولها. طفلةً في جسد امرأة، تحمل
 بين ضلوعها صمًا أكبر من عمرها، وتشدّ على تعويذتها
 كما يشدّ الغريق على آخر خشبة تطفو في الموج.
 لم تكن تحتاج إلى معجزةٍ تُنقذها بقدر ما كانت تحتاج إلى
 يدٍ تفهم صمتها.

في الخارج، بدأ الضوء يتسلّل من النوافذ العالية، يلطّف وجوه
 الممرّضات المتعبات ويغسل الممرّات بلونٍ جديد.
 كانت ايّفا قد غفت لحظات وهي جالسة في كرسيها.
 فتحت عينيها وحدّقت في الحرز، الذي لا زال في يدها، آخر
 مرّة، ثم أعادته إلى جيب مئزرها بتأن كأنها تعيد قلبًا إلى
 مكانه.

أحسّت، أن هذا الشيء الصغير بات يخصّها أيضًا، أنه صار

شاهدًا على هشاشة العالم، وعلى قدرة الألم أن يجعل من أبسط الأشياء، خيط، قطعة جلد قديم، أو نظرة أمّ، معنى للحياة نفسها.

رَبَّتت على جيبها برفق، ثم قامت لتواصل نوبتها. كانت في عينيها نظرةً جديدةً، خليطٌ من الحنوِّ والدهشة، كأنها رأت في تلك الفتاة الممدّدة على السرير الأبيض مرآةً خفيةً لذاتها، لإمرأةٍ تعمل بين مدارات المرض والشقاء والألم، لكنها تتعلّم كل يومٍ أن الحياة، مهما نزفت، ما تزال تتنفس عبر حرزٍ صغيرٍ مخبوءٍ في القلب.



صباح اليوم التالي...

توقّفت سيارة "الجيب" العسكرية أمام بوابة المستشفى، تصدر أنينًا خافتًا تحت ثقل الغبار، كأنها تحمل سرًّا لا يريد أن يُقال.

نزل منها رجلٌ متجهّم، في ملامحه قسوة الصحراء وريبة السلاح، يشدّ على بندقيته كما يشدّ على وهم السلطة. دخل إلى بهو المستشفى بخطواتٍ متعاليةٍ تصفع الأرض، واتجه نحو موظفة الاستقبال يطلب أن يرشد إلى غرفة ابنة أخيه، ليأخذها إلى البيت ما دام النزف قد توقّف والحالة، كما قالوا لهم، مستقرة.

تردّدت الموظفة لحظة، ثم تناولت الهاتف، واتصلت بالمرضة المسؤولة عن متابعة حالة "حياة".
جاء صوت الممرضة من آخر الممرّ لاهنًا، كأنها تهزول بين واجبها الوظيفي وخوفها الانساني.
ظهرت بعد لحظاتٍ أمام الرجل، عيناها متعبتان لكنّ في نظرتهما صلابَةٌ مكتومة، وقالت بصوتٍ يحاول أن يكون رسميًا:

"التقرير الجديد يشير إلى أن حالتها ما تزال خطيرة جداً...
هناك تمزقٌ شديد في جدار المهبل يمتد إلى خارجه،
والنزيف عاد، وهذه المرة أشدّ حدة.

الطبيب يرى أن الالتهابات الحادة في الرحم قد تشير إلى
عدوى خطيرة، ما يستدعي بقاءها تحت المراقبة لأخذ
عيناتٍ واستكمال الفحوصات.

وربما ...

وربما نُضطر إلى إجراء عملية...

نعم إجراء عملية عاجلة.

ثم إنها ما زالت في غيبوبة، والأجهزة موصولة بها حتى
الآن."

قَطَّب الرجل حاجبيه حتى غاب النور بينهما، وقال بصوتٍ
أجشّ، تغلّفه الغضبة والجهل:

"حياة تتمارض كعادتها دائماً.

هي تفتعل كل هذا بذكاء.

سأعود غداً لأخذها، حتى لو كانت على سرير الموت."

استدار...

غادر...

كمن يغادر ساحة معركة،
تاركًا خلفه هواءً مثقلًا بالتهديد والعجز.

وقفت الممرضة مكانها لحظة، تستجمع ما تبقى لها من رباطة
جأش. تنفست بعمق ثم اتصلت بالطبيب المشرف محاولةً
إقناعه بضرورة التدخل، خشية أن ينقذ الرجل وعيده. لكن
الطبيب لم يجد ما يقوله، فالوضع في البلاد:

لم يعد يعرف قانونًا،
والرحمة نفسها صارت مهددة بالسلاح.

أسرعت الممرضة إلى غرفة "حياة". ما إن فتحت الباب
حتى وجدت الفتاة ترتجف كعصفورٍ مبتلٍ في ليلة عاصفة.
جبينها يتصبّب عرقًا.
عيناها المفتوحتان نصف فتحة تفيضان برعبٍ صامت.
رفعت يدها المرتجفة بإيماءة صغيرة نحو الممرضة متممه
باسمها.

فهمت ايفا من النظرة قبل الإشارة:
لقد سمعت حياة كل شيء، سمعت صوت عمّها ووعيده،
وسمعت في صوته مصيرها المتربّص به

اقتربت ايفا منها برفق، تحدثها بنبرة دافئة كأنها تخاطب
جرحًا لا إنسانًا.

وضعت يدها على كفها وقالت:
"اهدئي يا ابنتي، لن يحدث شيء وأنت هنا."

كانت تحمل في يدها ثوبًا نظيفًا، أرادت أن تبدّله بثوبها الملطّخ بالدم. حاولت أن تساعدها على رفع ذراعيها، لكن حياة كانت غارقة في إنهاكٍ كامل، كأن جسدها فقد كل صلةٍ بإرادتها. استدعت ايّفا زميلةً أخرى، وقررتا:

القصّ هو الحلّ الأخير.

ما إن أخذ المقصّ ينهش الثوب المهترئ حتى انكشفت الحقيقة التي لا يطيقها قلب.

علت في الغرفة صرخةً واحدة خرجت من فمين في آنٍ واحد، امتزج فيها الذهول بالغضب، والرأفة بالقهر.
جسد "حياة" بدا كخريطةٍ من الألم، كأنها خارطة وطنٍ مضرّج بالجراح.

كدماتٌ زرقاء وسوداء تتناسل فوق بعضها، جروحٌ لا تُحصى، بعضها ما زال ينزف، وبعضها اندمل على عَجَلٍ، يخفي تحته صمًا أطول من الكلام.

شهقت المررضتان، لكنّهما تماسكتا، وأخذتا تنظفان الألم بالماء والقطن والمراهم.
 كانت أيديهما ترتعش وهما تنظفان الجراح، لا خوفًا فقط، بل

عجزاً أمام اتّساع المأساة.

لم تعودا ممرضتين تعالجان جسداً مريضاً، بل شاهدتين
على قسوةِ ثمارس في الظل، على أنوثةٍ مكسورةٍ ومعذّبةٍ.

حين انتهيتا، ألبستها الثوب النظيف كما تُلبسُ الطفلةُ في
صباح العيد، وأعدّتا الفراش بعنايةٍ مفرطة، كأنهما تبنيان لها
مأوى جديداً بعد عاصفةٍ طويلة.
جلستا إلى جوارها، تتناوبان العناية بها، والإنصات إلى
أنيها الخافت الذي يخرج من صدرها كصدى بعيد.

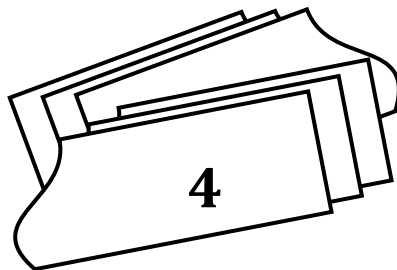
لم تتكلما كثيراً، فالكلمات في تلك اللحظة بدت ترفاً. لكن
نظراتهما كانت تقول ما عجز اللسان عن قوله:

أن هذه الفتاة الصغيرة، التي صارت ضحيةً في عمرٍ لا
يليق به الألم، تحمل في ضعفها نوعاً من البطولة الخفية،
كأنها ترفض الموت لا لتعيش فحسب، بل لتشهد على قسوة
العالم.

خارج الجدران، كانت البلاد تغلي بالفوضى، والقوانين تتساقط
كأوراقٍ يابسةٍ في ريح الحرب، لكن داخل تلك الغرفة الضيقة،
وُلدت لحظة إنسانية نادرة، لحظة مقاومةٍ صامتةٍ لا سلاح فيها
سوى الرحمة.

أدركت الممرضة، هي تنظر إلى وجه "حياة" الغارق في الشحوب، أن هذه الطفلة، رغم عجزها، كانت تقاوم بطريقتها الخاصة:

بصمتها، ببقائها على قيد التنفس، وبحرزها الصغير الذي ظلّ يرافقها كإيمانٍ لا يُكسر. وفي قلب ايفاء، تردّد يقينٌ جديد: أن بعض الأرواح، مهما انكسرت، تظلّ تحمل في داخلها بذرة نورٍ لا تُطفئها يدُ القسوة، بل تزيدها اشتعالًا.



كانت حياة، حين يثقلها الليل وتستسلم لجمر الذاكرة، تُصارع
 كوابيسها كمن يُصارع ظلًا غادرًا في عتمةٍ بلا ضوء.
 تهتف بصوتٍ حادٍ يخلع سكون الجناح، تشدُّ شعرها بعنفٍ
 كأنها تنتزع من رأسها جذر الألم نفسه.
 تهرع إيفاء، ممرّضتها، بخطواتٍ مذعورة، تفتح الباب على
 مصراعيه، لتجدها تتلوى تحت ضوءٍ خافت كشمعةٍ في
 مهبّ الريح.

تقترب منها بخفةٍ وحنوّ، تروح تفكّ ما بقي من خصلات
 شعرها المشتبكة بين أصابعها المرتجفة، تهمس في أذنها
 بصوتٍ يشبه النسيم:

"اهدئي يا حياة، أنتِ في أمان... أنا هنا."

تفتح حياة عينيها المرهقتين، تحدّق في وجه ممرضتها بعينين
 غائرتين يقطران رجاءً يائسًا، وتقول بصوتٍ مخنوق كأن
 الحروف تخرج من جرحٍ لا من فم:

— "خَلِّصيني منه يا إيفا... من عمي... قبل أن يأتي... إنه قريب... أشعر بظَّله يزحف نحوي... إن هذا الباب هو فم الجحيم نفسه... أرجوك... خَلِّصيني... بأي وسيلة... حتى لو بالموت... الموت أهون من أن أراه يدخل."

كانت كلماتها تخرج متقطعة، تتلوها رعدة خفية في أطرافها.

ومن وراء الباب، انبعثت صيحات عجلى سريعة رافقها دخول ممرضة أخرى تنادي إيفا وتستحثها على عجل:
"ثمة حالة طارئة في الجناح الآخر!"

وقفت إيفا مضطربة بين واجبها وشفقتها، ثم قالت بنبرة حنونة فيها وعد بالعودة:

— "أنا سعيدة لأنك تكلمت أخيراً يا حياة... أعدك أنني سأعود بعد قليل، سنقضي الليل معاً في الحديث. والآن حاولي أن ترتاحي."

وحين همّت بالمغادرة، سقط من جيبها قلمٌ معدني صغير، لم تنتبه له وهي تسرع. بقي القلم على شرشف السرير، يلمع تحت الضوء الضعيف كخنجرٍ مكشوف.

مدّت حياة يدها بسرعةٍ والتقطته. تأملته لحظة، شعرت بثقله في كفّها الضئيلة، كأنه وعدٌ غير معنٍ بالدفاع عن آخر ما تبقى من كرامتها. خبّأته تحت الغطاء بحذرٍ، وأطبقت عليه بأصابعٍ مشدودة، كأنها تُمسك بآخر حبال النجاة.

كانت تعلم أن عمّها لن يتراجع، وأن تهديده ليس مجرد كلماتٍ عابرة.

ذلك الرجل الذي لم يعرف الرحمة يوماً، ولا يتورّع عن اقتحام أي مكان ليبلغ ما يريد، ولو كان عليه أن يقتل العالم كلّه ليخفي جرمه.

الليل يمضي ببطءٍ قاسٍ، وصمت المستشفى يتكاثر كغبارٍ خائق.

الأنوار الخافتة تتماوج فوق الجدران البيضاء، والظلّ يمدّ أصابعه الطويلة حتى يصل إلى وجهها. كانت تسمع دقات قلبها، تعدّ الثواني، وكل ثانية تمرّ عليها كأنها عام من انتظار العذاب.

أذناها تترصدان أدنى صوتٍ في الممرِّ، خفقةً، صريرَ
عجلاتٍ، همسَ حارسٍ بعيد، وكلَّ همسةٍ تُزعها كأنها وقعُ
حذاءه يقترب.

زحزحت نفسها على السرير، راغبة ان تسند ظهرها إلى
الوسادة، والقلم في يدها اليمنى كرمحٍ صغير.
عيناها لا تفارقان الباب، باب الغرفة الذي تحوّل في خيالها
إلى فمٍ مفتوحٍ لوحشٍ ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض.

مرّ الوقت متثاقلاً، وتعبت أجفانها من الحراسة.
تسلّل إليها النعاس خفيفاً، لا كراحةٍ بل ككمينٍ آخر من جسدٍ
أنهك من الخوف.

أغمضت عينيها لحظة، فراحت ترى الطفلة التي كانت ذات
يوم، ذات العشرة أعوام، حين دُفنت روحها حيّة تحت ركام
الخوف والعار.

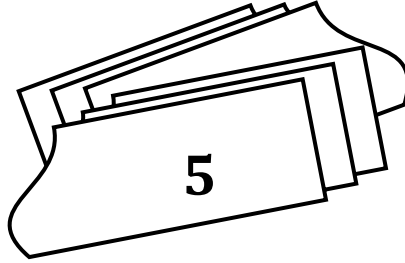
رأت نفسها هناك، في بيت العمّ، بصراخها المكتوم،
ودموعها تبلّل الأرض، وصوت الباب ذاته يُغلق خلفها
كإعلانٍ للموت البطيء.

انتفضت من غفوتها على وقع الريح تداعب النافذة.
رفعت رأسها، تتأمل الظلام خارجها.

السماء حالكة، لكنّ نجمةً وحيدة كانت تلمع من بعيد، وكأنها تناديه بصبرٍ خافت:

"ما زال في آخر الليل فجرٌ ينتظر".

ابتسمت ابتسامةً واهنة، فيها مرارةٌ وأملٌ مختلطان، كمن يتذكّر أنه لا يزال حيّاً رغم كل شيء.
رفعت القلم أمام عينيها، تلمع نصلته المعدنية تحت الضوء الشاحب، وقالت في سرّها:
"لن أكون فريسة بعد الآن..."
لن أعود إلى القبر الذي جئتُ منه حيّة."



ربما كان ذلك الأمل آخر ما يتمسك به الإنسان حين تتكالب عليه الحياة من كل الجهات. تسربت الساعات أو الدقائق، لم تعد قادرة على التمييز، كأنّ الزمن أصبح ماءً يتسرّب بين أصابعها.

وفجأة، اخترق سكون الغرفة انتزاعٌ عنيفٌ لشيء ما من يدها، شعور مباغت جعلها تجفل وترتجّ ارتجافاً كمن سقط في غياهب بئر. فتحت عينيها على عتمة معتمة، وإذا به، هيكل عمّها المقيت، ينهض من الظلّ بوجهٍ غارق في السواد، يدور حول سريرها بقلقٍ وحركةٍ متوترةٍ توحى بنيةٍ خبيثةٍ.

أرادت الصراخ. أرادت أن تستنجد بمن يمكن أن يسمعها خلف جدران المستشفى الساكن، لكن صوتها اختفى مثل ريح انطفاة فجأة. حاولت أن تستعيده، خنقت المحاولات حنجرتها، فخرج الصمت يجلل الموقف برعب أكبر.

قرب وجهه منها، وعيناه تقدحان بما يشي بما هو آتٍ. مدّ ذراعيه نحوها، يريد حملها كما تحمل الغنيمة. همست روحها بالرفض قبل أن يهمس فمها، فرفعت يدها لتدفعه، وركلته بكل ما تبقى فيها من قوة يائسة. لكنها بدت كعصفورة تصفع حجراً.

انقضّ عليها بغلظة، وضرب رأسها بيده الثقيلة ضربة أراد منها أن تطفئ وعيها كما تطفأ شمعة في ليل بلا رحمة. ترتج الألم في رأسها، لكن شيئاً ما في أعماقها رفض السقوط، رفض الاستسلام، رفض ذلك المصير الذي يحاول أن يسوقها إليه.

ولأن الروح حين تُحاصر تُخرج أنيابها، امتدت يدها تحت الغطاء، التقطت القلم كما يلتقط المرء آخر رمح في معركة غير متكافئة. وفي لحظة خاطفة، تلاقت يدها مع حدّ الغضب، فغرست القلم بقوة في وجهه. صرخة ألم غليظة انطلقت منه، وظهر الدم يغلي على خده الأيسر، يشقّ طريقه من الجلد إلى

طرف فمه، لينزف بغزارة أربكته ودفعته إلى الترنح كمن فقد توازنه أمام زلزال داخلي.

اغتنمت اللحظة. دفعت نفسها إلى حافة السرير محاولة الهرب، محاولة النجاة ولو بفرصة ضئيلة. لكن جسدها لم يتجاوز السرير.. رأته ينتزع المسدس من حزامه، بحركة يأس وحقد تفوقا على الألم الذي سببته له.

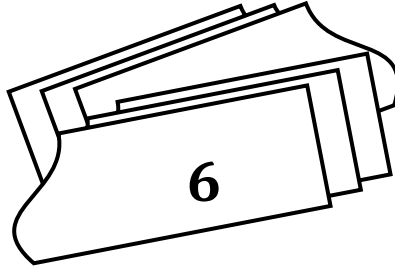
لم تنتظر روحها سوى ثانية واحدة لتفهم المصير. انطلقت ثلاث رصاصات كصفعات قدرٍ لا يتردد.. اخترقت صدرها، شعرت بأن العالم ينكمش حولها، وأن دفء الحياة ينسحب من بين أضلاعها كما ينسحب الضوء من آخر النهار. سقطت فوق فراشها، والدم يلون الغطاء بلون الحقيقة الأخيرة.

لكن عينيها ظلّتا مفتوحتين. لم تنكسر. لم تستسلم. ظلت تحدّق في قاتلها بصلافة لا يمتلكها سوى من خاض معركته حتى النفس الأخير. تحدّق فيه وكأنّها تقول:
"حتى ولو قتلتني، فقد هزمتك".

اقترب منها، والغضب يعمي ملامحه، والدم المتجلّط على وجهه يزيد حشية. رفع سلاحه مرّة أخرى، وصوّبه إلى عينيها مباشرة، إلى

آخر منفذين تتنفس منهما روحها. وأطلق الرصاصة الأخيرة، كأنه يحاول أن يطفئ التحدي قبل أن يبرد.

ثم استدار، تاركًا الغرفة بظله المتعجل، متجهًا إلى السيارة التي كانت تنتظره، بينما بقيت هي هناك... لا جسدًا وحسب، بل شهادةً على شجاعةٍ لم تُمنح الحياة، لكنها منحتها لحظتها الأخيرة.



كان صوت انفجار الرصاص مزلزلاً، وجأفاً كحدّ السيف : اهتزت الجدران الهادئة لهذا المكان المكرّس للحياة، وكان نبضه الخاص توقّف لحظةً قبل أن يستعيد دفته المرتبك. لم تنتظر إيفا تفسيراً أو أمراً من أحد؛ اندفعت راكضة، تتبّعها خطى الممرّضين والأطباء الذين خرجوا من غرفهم كأنهم يركضون نحو فاجعة يعرفونها دون أن يروها. كانت إيفا تشعر بأن الهواء أصبح أثقل من أن يُستنشق، وكان كل خطوة تطأها تعجّل وصولها إلى كارثة لم تكن مستعدة لها مهما بلغ استعدادها، وعندما أوشكت أن تبلغ باب غرفة حياة،

تسارعت دقات قلبها في صدرها حتى ظننت أنها تسمعها بأذنيها.

دفعت الباب الموارب بعنف، بهتت...

ثم تجمّدت...

هناك، على تلك الأرضية البيضاء الهادئة، تساقطت براءة الحياة الموعودة.

رذاذاً أحمرًا لَوْنُ أجناب السرير.

كأن الرصاصة لم تخترق جسد فتاة فحسب، بل اخترقت قدسيّة المكان نفسه، ذلك المكان الذي يُفترض به أن يحرس أنفاس المحتاجين، لا أن يشهد توقفها.

شهقت إيفا شهقة انطلقت من الأعماق، من مكان لم تكتشفه في نفسها من قبل؛ مكان يجمع الرعب والعجز ولوم الذات في قبضة واحدة.

ثم ارتفع صوتها صارخاً، صوتاً بدت نبراته أقرب إلى صوت أمٍ فقدت وليدها منه إلى صوت ممرضة محترفة. ومع الصرخة، خذلتها قدماها، فسقطت بجانب الباب كمن يسقط من قمة الوعي إلى قاع لا قرار له...

أغمي عليها، وقد ظلّ صدى صرختها يهتز في الغرفة كارتجاج جناح مذعور.

لم تكن إيفا بالنسبة لحياة مجرد ممرضة تراقب جهازاً طبياً، كانت ظلّها الحاني، وكانت قد حملت على عاتقها وعداً شخصياً لم يسمعه أحد سواها:
أن تحمي هذه الروح الصغيرة من قسوة العالم، طالما بقيت هي قريبة منها.

كانت حياة بالنسبة لها ابنةً لم تنجبها، ونافذةً على معنى أعمق للمهنة التي اختارتها.
 ولذلك، حين رأت الدم يمتدّ من الفراش الى البلاط، شعرت أن ذلك الوعد قد انكسر في يديها كزجاج هشّ.

ساد الارتباك المكان. دهشةٌ وذهولٌ تلبّسا وجوه الجميع: الأطباء الذين اعتادوا مواجهة الموت، والمرضات اللواتي خبرن أصوات الاحتضار، جميعهم وقفوا مشدوهين أمام مذبحة وقعت في قلب حصنٍ يُفترض أنه مُحرم على الرصاص.

كانت الصدمة أكبر من قدرتهم على الكلام...

كأنّ الأفواه نسيت اللغة.

لم يخرق هذا الصمت سوى صوت زميلة إيفا الأقرب، تلك التي كثيراً ما شاركتها نوبات الليل الطويل، همسات

الخوف، وأحلام الهروب من هذا البلد الذي طالته يد العنف. كانت تعرف إيفا معرفة تكاد تبلغ حدّ قراءة الروح، ولذلك كانت أسرعهنّ إلى الانحناء فوقها. هزّت كتفيها برفق أولاً، ثم بقلق يتصاعد، هفتت تستدعي المساعدة:

"ساعدوني! إيفا لا تستجيب! نحتاج لإنعاشها فوراً!"

تدفّق الجميع نحوها، كأن صيحتها أعادت إليهم وعيهم. انقسموا في لحظة إلى فريقين: فريق رُكع إلى جانب إيفا يحاول استعادة وعيها، وآخر اندفع إلى خارج الغرفة لإبلاغ الإدارة، بينما تولّت طبيبة الطوارئ إغلاق الستائر وحماية ما تبقى من كرامة الجسد المسجّى. كانت إيفا في عالم آخر.

عالم معتم،

لكنّه ليس ساكناً؛ كان يعجّ بالخوف. رأت في ذلك الظلام وجهاً تعرفه: وجه حياة، يبتسم لها كما كانت تفعل وهي تتحدّث عن شهيتها التي بدأت تعود، وعن رغبتها في الحياة رغم قساوتها، حاولت إيفا أن تمدّ يدها نحوها، لكن المسافة كانت

تتسع، وتزداد برودة بينهما.
سمعت صوتاً خافتاً، يشبه الهمس:

"لماذا تركتني؟"

كانت تلك اللحظة أفسى من كل ما اختبرته في حياتها.
لم يكن السؤال حقيقياً، لكنها شعرت كأن ضميرها هو من
ينطق به.

وفي الخارج،

كان الهرج ينتشر كدخانٍ كثيفٍ في الممرات.
أفراد الأمن توافدوا متأخرين، قلقهم مضاعف لأنّ المكان
الذي وُصف دائماً بأنه "محمي" انكشف على حين غرة. أحد
الأطباء، شاحب الوجه، تمتم:
"كيف يدخل مسلح هنا؟ ... كيف؟"

لكن لا أحد يمتلك الجواب، السؤال بدا أكبر من مجرد خرق
أمني؛ بدا كأنه سؤال عن زمن بأكمله، زمن صار فيه الموت
أجراً من الحياة.

بدأت ملامح إيغا تستعيد لونها شيئاً فشيئاً، بعد ان كثف
زملاءها من الفريق الطبي عملهم على إنعاشها.

ارتجفت جفونها أولاً، ثم تحركت شفتاها بحركة بالكاد تُرى. وعندما فُتحت عيناها أخيراً، لم تر سوى السقف الأبيض، وهو يسبح أمامها بلا تركيز. احتاجت ثواني لتتذكر أين هي، ولتجتاحها الحقيقة من جديد كصفعة باردة.

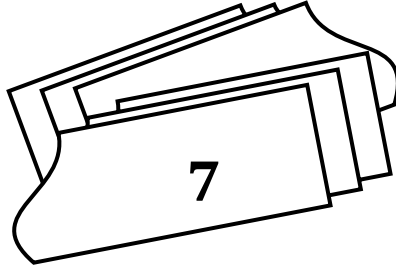
أخذت نفساً مرتجفاً، ثم تمت بصوت مبجوح:
"حياة... أين هي؟"

كان السؤال كجرٍ على لسانها. وحين لم يجبها أحد مباشرة، أدركت، قبل أن تسمع الكلمات، أن الجرح الذي انفتح في روحها لن يندمل سريعاً. لكنها، رغم ذلك، أغمضت عينيها قليلاً، وكأنها تستجمع ما تبقى من قوتها، قوة ستحتاجها لتقف مرة أخرى في هذا المكان...

مكان وُجد ليحمي الحياة،

لا

ليشيّعها.



مدّت إيفا يدها المرتجفة إلى جيب مئزرها الأبيض، ذلك الجيب الذي صار في الأيام الأخيرة

أثقل

من

قلبها

نفسه.

كانت تبحث عن الحرز، ذلك الكيس الجلدي الصغير الذي تركته حياة بين يديها في آخر ليلة مضاءة بالأمل، وأوصتها به وصية تشبه الرجاء أكثر مما تشبه التوديع.

قالت لها يومها، بابتسامة تُخفي قلقاً عميقاً:
"إذا متُّ يا إيفا... فهو لكِ.
لا ترميه، أرجوكِ،
فهذا... عمري".

تذكّرت إيفا العبارة كما لو أنّها تُقال لها الآن، بنفس النبرة التي كانت تجمع عتبات العمر كله في صوت فتاة تحلم بغدٍ لم يمهلها القدر الوصول إليه. وحين قبضت أصابعها على الحرز داخل الجيب، شعرت وكأنّ حرارة حياة تتدفّق منه، حرارة جسدٍ غادر، لكن أثره ما زال يسكن الأشياء.

أخرجته ببطء... ببطء يشبه انحناءة شخصٍ يلتقط بقايا قلبه من الأرض. ما إن رآته حتى انهمرت الدموع من عينيها؛ دموع خفيفة في البداية، ثم ثقلت كأنها تنزل من عمق الروح لا من محض جفنٍ مثقل بالسهر والتفجع. رفعته إلى شفّتيها، وقبّلته قبلة من يحمل في يده آخر أثر لإنسانٍ لم يكتمل وداعه، وكأنها في تلك القبلة تعيد لروح حياة شيئاً من السلام الذي لم تجده في يومها الأخير.

همست وهي ممسكة بالحرز بين كفيها:
**"رجوتي أن أحتفظ به، ووعدتك ألا يضيع... وها أنا أُجدد
العهد، يا صغيرتي".**

راودها فضولٌ عميق أن تفكّه، أن ترى ما الذي اعتبرته
حياة عمرها كله، ما الذي كانت تخاف ضياعه أكثر من
خوفها من موتها نفسها.
لكن حين حاولت أن تفك العقدة الصغيرة، تسَلَّت رعدة
عبر أصابعها، رعدة لم تكن برداً ولا انفعالاً، بل كانت شيئاً
آخر...

شيئاً يشبه خشية مواجهة حقيقة لم تستعد لها بعد.
تراجعت، وأغلقت كفها عليه من جديد، كمن يصدّ ظلّاً
يقترّب. قالت لنفسها:

"ليس الآن... ليس وأنا بهذا الاضطراب".

ظل الحرز يشغل بالها أياماً كاملة.
كلّما حاولت التركيز في عملها، تسلل طيفه إلى ذهنها،
يذكّر بها بأن جزءاً من حياة ما يزال ينتظر أن يُكشَف عنه
النقاب.

وفي الليالي التي لم تستطع فيها النوم، كانت تستعيد
اللحظات الأخيرة التي جمعتها بالفتاة: ضحكتها الخافتة،

خوفها المكتوم، والأسئلة التي لم تجرؤ أي منهما على طرحها.

ومع ذلك، بقي الحرز مغلقاً. بقي سراً يتحرك معها في كل خطوة، كلما تسلّلت إليه يدها تبحث عن طمأنينة، زاد وجيب قلبها اضطراباً.

كان موعد إجازتها السنوية يقترب، تلك الإجازة التي وعدت عائلتها في السويد بها، ووعدت نفسها بأنها ستكون فرصة لالتقاط أنفاسٍ أثقلتها سنة كاملة من العمل في المستشفى، بين رائحة المعقمات وصوت الأجهزة وصدى الأرواح التي تعبر نحو المجهول في بلد تأكله الحرب والفوضى. لكنها كانت تعرف في أعماقها أن هذه الإجازة، إن ذهبت، لن تُقضى كما تخيلت. ثقل الحرز وحده كان كفيلاً بأن يسافر معها أكثر من حقائبها.

وقفت في غرفتها الصغيرة بالمستشفى، قبل ساعات من مغادرتها، تنظر إلى الحرز وكأنه مخلوق صغير يتوسّد كفّها ويطلب منها اليقين.

شعرت للحظة أنّ حياة تقف خلفها، كما كانت تفعل حين تستجدي منها وعداً بأن تبقى قربها حتى تستعيد عافيتها. همست إيفاء، بمزيج من لوعة وحنان:

"سأخذك يا حياة...
سأخذك إلى بيتي.
ستسافرين معي".

ولم يكن القرار بسيطاً؛ كان أشبه بمصالحة مع وجعها.
شعرت، لأول مرة منذ رحيل حياة، بنبرة دفء تتسرّب إلى
صدرها:

إحساس بأنّ حمل أثرها معها ربما يمنحها القدرة على
مواجهة الغياب، لا الهرب منه.

وضعت الحرز في حقيبتها بعناية، كما لو كانت تضع طفلاً
لا يريد أن يصحو.

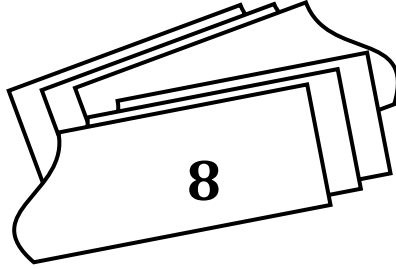
ثم جلست على حافة السرير، تستمع إلى السكون الثقيل
الذي يسبق الوداع.

كانت تعرف أنّ الرحلة لن تكون هروباً، بل بحثاً عن معنى
لهذا الخيط الذي ربط بين حياتين
" حياة انتهت،

وأخرى، تبحث عن سبب يجعلها تمضي قُدماً."

أغمضت عينيها للحظة طويلة...
ورأت حياة تبتسم من جديد.

هذه المرة، لم تبكِ.
هذه المرة، ابتسمت لها أيضاً.



كان شتاء البلاد، يوم عادت إيفا إليها، يتلألأ بضياء الأعياد، كأن الفجر قد نثر على السقوف نثراً من فضة باردة، والشوارع نفسها تستيقظ على أناشيد خفية تُعلي من شأن الطمأنينة. أضواء الميلاد كانت تومض بهدوء يشبه نبض مدينة آمنة لا يعرف قلبها الارتجاف، فتغمر كل ماٍ بإحساس مريح بأن العالم، ولو لوهلة، مكان يمكن الوثوق برحمته.

غير أن هذا السكون البهّي كان يوقظ في أعماق إيفا شروخاً غير مرئية، ذكريات تنسل إليها مثل ظلّ طويل خلفها.

**فهنالك،
في بلد آخر،**

على الضفة التي تركتها وراء ظهرها، كان الناس يواجهون ليالٍ لا تُضاء بأي عيد، وأياماً تتشظى فيها الأرواح تحت وطأة حربٍ لا يعرف أحد علام تُقاتل ومن أجل من تُسفك الدماء.

تذكرت وجوهاً انطفأت ملامحها تحت رماد القصف، وأمّهات يرتجن من كل دوي، وأصدقاء لم يعد لهم وطن سوى صورة في جيب أو قبرٍ بلا اسم. كانت تفكر في أولئك الذين خسروا كل ما هو عزيز دون أن يُمنحوا شرف اختيار التضحية، بل رُجّ بهم في نزاعات تحركها شهية لا تشبع من الأطماع.

حين وطأت عتبة بيتها، بدا لها الدفء المتسلل من الداخل كيدٍ تمتد نحوها بعد غياب طويل.

اجتمع حول الطاولة أبناء الأسرة وأحفاد صغار لم يسبق لعينيها أن احتضنتهم من قبل، فأخذت تحدق في تفاصيلهم بحنينٍ يلمع في عينيها كدمعة مُمسكة.

كانت كمن يعيد اكتشاف جذوره، وكمن ينفذ عن قلبه غبار الغربة.

ضحكاتهم الطازجة تشقّ السكون، وتلّون ملامح الأم التي لم يفلح الزمن في انتزاع رقتها.

امتدّ العشاء ساعات طوال، تبادلت خلالها إيفا مع الحاضرين قصص الغياب وأخبار السنوات التي حملتها بعيداً. نقّبت ألبومات الصور كأنها تنقّب عن ذاتٍ ضاعت في دهاليز الزمن، تلمس الصور بأطراف أصابعها كأنها تتحسس حياة أخرى كانت لها يوماً. وفي كل ضحكة، وفي كل حكاية، كان هناك ظلّ رقيق لحزنٍ لا يريد أن يختفي، حزنٌ يسكن عمق ابتهامتها منذ رحيل زوجها المفاجئ، ذلك المصاب الذي اقتلعها من حياتها الهادئة وزجّ بها في فوضى داخلية لم تجد لها مهرباً سوى عملها في بعثات الصليب الأحمر الطبية.

لشدّ ما كان ذلك العمل أشبه بقارب نجاة تُبحر به عبر جرحها المفتوح، محاولة لتملأ الفراغ القاسي الذي خلفه رحيله.

لم تكن تهرب من ذكراه بقدر ما كانت تحاول أن تبقيه حياً في شيء من خير تؤديه.

كانت تؤمن أن كسرهما يمكن أن يصير نافذة تتسرّب منها رحمة إلى الآخرين.

وحين انفضّ الجمع بعد العشاء، وخفّت صخب الأصوات، عاد البيت إلى هدوئه المألوف كأن الضحكات لم تزل ترفرف فيه. غير أن إيفا شعرت بأن السعادة التي كانت تعمّ المكان

ليست سوى بُقعة ضوء صغيرة فوق بحيرة من الأسئلة التي ترفض أن تغفو داخلها.

توجّهت إيفا نحو مكتبها بخطواتٍ هادئة تشبه تلك اللحظات التي يختلط فيها التعب بالحاجة إلى السكون. كانت تحمل كوباً من شاي النعناع الساخن بين كفيها كما يحمل المرء شيئاً يعوّل عليه لتهديئة ما يعجز عقله عن كبحه. كان بخار الشاي يتصاعد أمام وجهها في خطوطٍ رقيقة، كأنه يحاول أن يربّت على أفكارها المضطربة، أو أن ينسج حولها حجاباً من الطمأنينة التي افتقدتها طويلاً.

الغرفة كانت غارقة في نصف عتمة، ذلك النوع من الظلمة التي لا تُخيف، بل تُهيئ الروح للاقتراب عما تهرب منه. وحده المصباح الأصفر على زاوية المكتب كان يصرّ على البقاء يقظاً، يلقي ضوءه الدافئ على الكتب المتراكمة

جلست أمام المكتب كما لو أنها تجلس أمام بوابةٍ سرّية، بوابة تقودها إلى فصلٍ آخر من حكايتها، فصلٍ لم تُقرّر بعد إن كانت مستعدّة لولوجه، أم لا.

مدّت يدها إلى الحرز الموضوع فوق دفتر يومياتها، ذلك الكيس الصغير الذي رافقها منذ آخر مهمّة، منذ تلك الليلة التي انطفأت فيها حياة حياة وتركت خلفها هذا الأثر المربك.

ما إن لامس النسيج الخشن أصابعها، حتى شعرت باهتزازٍ خفيف في يدها، رعشةً لم تأت من البرد، بل من الذكرى.

قلّبتَه

بين

أصابعها

بحذر... .

وكانها تخشى أن ينفطر السرُّ المكبوت فيه بمجرد لمسة.

في تلك اللحظة أدركت إيفا أن اضطرابها لا يتعلّق بالحرز وحده، بل بكل ما ظلّت تدفعه إلى زوايا مظلمة لا تريد التفكير فيها.

كان الخوف أول تلك الأشياء، ذلك الخوف الكامن الذي يتسلّل إليها كلما استدعت ذاكرتها صورة حياة المسجّة على سرير المستشفى.

كانت ترى وجه الفتاة الشاحب، الجسد الخارج للتوّ من حياة قصيرة، والطلقات التي صادرت ما تبقى من حلمها.

كانت تسمع، في أعماق نقطة من الذاكرة، صدى الرصاص.

لم يكن مجرد صوت... .

كان...

كأن الزمن نفسه انشقّ في تلك اللحظة، وانسكبت منه الهشاشة التي صارت ترافقها منذ ذلك اليوم.

رفعت إيفا الحرز أمام عينيها كمن يزن بقلبه لا بيده ثقلاً خفياً لم يتجسّد بعد في لغة، لكنه يضغط على الروح كما تضغط الذكرى على جفنٍ مُرهق.

لم يكن الحرز مجرد قطعة جلد قديم، بل كان نافذةً صغيرة تُطل منها على روح لم تهدأ، وعلى مسالك مُعتمة حفرتها الأيام في صدرها فلم تعد تدري أين يبدأ الخوف وأين ينتهي **الفقد**.

حدّقت في خيوطه المعقودة، ثم شعرت وكأن صمت الأشياء حولها يسعى لفضح ما تخبئه هذه اللقافة الضئيلة من أسرار.

تساءلت، بصوتٍ لا يسمعه أحد سواها:

"أهو تذكّارٌ تركته حياة كي لا يبتلع النسيان أثرها؟"

أم وصية أرسلتها من حدّ الغياب لتقودها إلى ما عجزت عن رؤيته؟

أم لعلّه مرآة لروحٍ أنك صوتها فصارت تستغيث بارتجافة خفيفة، تبحث عمّن يصغي قبل أن تسقط؟"

وضعت كويها جانباً، واستنشقت نفساً عميقاً بدا كما لو أنه
 أول نفسٍ تسترده من بين أنياب الماضي.
 تمتت بهمسة خرجت من عتيةٍ كانت تخاف الاقتراب منها:
 "حان الوقت... لأعرف."

مدّت

يدها

نحوه

ببطءٍ

حذرٍ،

كأنها تخشى أن تستيقظ الأرواح النائمة بين ثناياه.

تناثرت الأوراق التي في داخله واحدةً تلو الأخرى، رقيقة
 كأجنحة فراشات ذابلة، مرقّمة بأناة تنحدر من الواحد إلى
 العشرة...

كأن حياةً كاملةً أفرغت في هذا الترتيب الغريب.

التقطت إيها الورقة الأولى بأطراف أصابعها المرتجفة، ثم
 فردتها ببطء، وكأنها تخشى أن تتمزق الذاكرة ذاتها...
 وبدأت
 القراءة...



كانت حياتنا قبل مرض أبي هادئة كجدولٍ صغير ينساب بين بيوت الفقراء، بسيطة، مطواعة، لا تُفاجئ أحدًا. كان أبي يعمل سائقًا في الميناء، رجلاً لين الملامح، طيب الطبع، يملك من الصبر ما يجعل صوته دائماً منخفضاً حتى وهو يواجه قسوة الدنيا.

كنتُ ابنته الوحيدة.

طفلة في العاشرة، أعيش في كنف والداي كزهرة لا تعرف من الرياح سوى النسائم، فأنا موضع دلالهما رغم ضيق الحال، وكانا يشيّدان لي في كل يومٍ حلماً صغيراً يعوّضني عن كل ما ينقصنا.

لكن الربو الذي لازم أبي سنيًا طويلة بدأ يتحوّل إلى ذئبٍ ينهش أنفاسه نهشًا. لم يعد سعاله عارضًا عابرًا، بل صار يتردّد في صدره كطبول حرب تقرع في ليلٍ بلا نجوم. ومع تدهور صحته اضطر لترك العمل، أو لأقل سرح منه. حصل بعد جهدٍ مُرهقٍ على تقاعدٍ هزيل لا يكاد يسد الرمق. بدأت أمي تُخفي دموعها في المطبخ، وأصبح وجه أبي أكثر انطفاءً، وكان الهواء الذي يستنشقه لم يعد يكفي لبقائه في هذا العالم.

وحين ضاقت السبل، اضطر أبي إلى استدعاء أخيه. كان عمي - ذلك الرجل الذي لا يأتي إلا إذا احتاج - يعمل في سلك الشرطة، ويتاجر في الظلام بكل ما يمكن بيعه أو تهريبه.

جاءنا بزيه الرسمي، مسدّسه يتدلّى عند خاصرته كتهديدٍ صامت، وحضوره يملأ البيت رائحة خوفٍ لم أعرفها من قبل.

سأل أبي عن قدرته على إيصال بعض "الصناديق"، كما فعل في مرةٍ سابقة. ولم يجد أبي بُدًا من الموافقة، فالعوز كان شرسًا، ينهش في نبرة صوته ورجولته.

منذ ذلك اليوم صار بيتنا مخزنًا لعلبٍ مبهمّة ولفائف غامضة، صناديق مُحكمة الإغلاق لا يجرؤ أحد على السؤال

عمّا بداخلها.
 كان عمي يكفّ أبي بنقلها وحده، مريضًا كان أم على حافة
 الإغماء، لا يهّم.
 كان يكلمه من علّ، يورّع كلماته وكأنه يرمي صدقاتٍ على
 متسوّل.
 أما أنا، فكنت أرتجف كلما دخل البيت بحذائه الملطّخ
 وعينيه الزائعتين؛ كنت أشعر، على صغري، أن حضوره
 يطفئ شيئًا من نورنا.

زاد عمل أبي مع عمي مرضًا فوق مرض.
 صار فراشه ضيقًا عليه، وأنفاسه كخشبٍ يابس يشقّ طريقه
 نحو الاحتراق.
 وحين أخبرنا الطبيب بأن أيامه صارت معدودة، انكشفت
 أمي كظلّ يُسحب من عنفوان نهاره، بينما لم يكفّ عمي
 نفسه حتى بالسؤال عنه.

كنتُ أذهب إلى المدرسة بخطواتٍ متردّدة، أختبئ خلف
 صديقاتي، أستعرض وجوههن لأتأكد أن أحدًا منهن لا تعرف
 بصدقات الجيران التي صارت أمي تقبلها مُكرهة. كنت
 أخجل، بل كنت أشعر بأن العالم كلّهُ ينظر إليّ بعينٍ تُشفق
 وتدين في آنٍ واحد، وكنت أبكي سرًا حين أسمع أمي تستقبل
 زوّارًا يحملون لنا ما يسد رمقتنا.

وبعد اشهرٍ قصيرة وثقيلة، رحل أبي.
 رحل وكأنه اعتذر عن الحياة، وتركنا معلّقتين في هواءٍ
 ملتبس لا نعرف كيف نتنفسه.

لم تمضِ أيام حتى أدركنا أن موت أبي لم يكن نهاية
 العذاب...

بل بدايته.
 فقد أصبحنا تحت رحمة العم، ذلك الذي كان ظلّه وحده
 كفيلاً بأن يصادر الدفاء من البيت.

كنت طفلة،

نعم...

لكنّ قلبي كان يرى ما لا تراه أعين الكبار. كنت أعلم، بيقينٍ
 يشبه حدس الجياع، أن الأيام المقبلة ستختبر قدرتي على
 البقاء... وأن الخوف الذي يسكن البيت لن يغادر بسهولة.



لَمَّا انطفأ وجه أبي إلى الأبد، وبات اسمه يُتلى همساً في أركان
الدار، حلَّ عمِّي في حياتنا كظلٍّ ثقيل لا يُرى منه سوى سواد
الطمع ونتاجة السلطة.

كان يأتي بصفة المعيل،
يحمل في يده ما يشبه الرحمة،
وفي قلبه ما يشبه الخراب.

يزورنا بحجة السند، بينما كانت نظراته تفصح عن نوايا لا
تخفى على من ذاقت الفقد وعرفت مبكراً ألوان الخديعة.
كنتُ يومها طفلة، لكنِّي أحمل في داخلي قدرًا من فطنة
مبكرة، تلك التي تمنحها المآسي لأصغر أبنائها.

كنتُ أرقب خطواته وهو يدخل غرفة أمي، يغلق الباب وراءه، ثم يخرج بعد ساعات بنفَسٍ متناقل، وأمِّي تلوذ بجدار المطبخ تنتحب، تشتم حظّها وتدفن وجهها في راحتها كأنها تحاول إخفاء ما لا يُخفى.

أدركت،

دون أن يخبرني أحد...

أنه كان يراودها عمّا لا حق له فيه،

وأنه يلوّح بقطع المعونة إن رفضت،

بل...

يتجرّأ على ضربها إن نهضت كرامتها لتقف في وجهه.

ومنذ تلك اللحظة، انفتح في صدري بئرٌ من الكراهية لا قرار له.

كنت أراه نجسًا يمشي على قدمين، وأتحاشاه كما يتحاشى الطاهر كل ما يدنّس روحه. صرت أختبئ في زوايا البيت، خلف ستارة متهاكّة، تحت السرير، أو فوق سطح الدار حيث لا يصعد أحد.

لكن عينيه كانتا تلاحقاني أينما حللت، كأن حضوري يوقظ

فيه شرًّا آخر.

يسأل أمي دائماً عن غيابي، وحين يعلم أنني في الدار يطلب أن أقدم له الطعام والشاي، مكرساً من وجودي خادمة أبدية من حقه المكتسب.

كم كرهتُ تلك اللحظات. يدٌ صغيرة ترتجف وهي تحمل طبقاً أكبر من قدرتها، ونظرات متوحشة تترصد كل خطوة. وحدث غير مرة أن انزلت يدي وسقط الطبق على الأرض، فاستشاط غضباً، وراح ينهال عليّ ضرباً وشتماً، ثم يعاقبني بعقوبة كانت أشدّ قسوة من الألم ذاته: حرمانني من المدرسة، التي كانت نافذتي إلى العالم، ومهربي الصغير من رائحة الخوف في البيت ومن نظراته التي تغتال لحظات الطمأنينة المتلألئة بالامان.

مرّة، وحين تكدّست المرارة في صدري، قلت لأمي
"إنني أريد قتله."

كنت أقولها بصدق طفلة وصلت إلى منتهائها. وضعت أمي يدها على فمي بسرعة، كمن يخشى أن تستيقظ العواصف، وقالت بصوت مبحوح، هادئ ولكنه حازم:

"لا تكرّري هذا أبداً، يا حياة..."

إن علم بما نويت سنُدفن معاً دون أثر.

عليك أن تكوني لطيفة معه...
فلا تظهرني نفورك".

لكن كيف لطفلة أن تجامل وحشاً؟

قلت لها: إنني أكرهه، ولا أطيق حضوره في بيتنا، ولا
أحتمل إهانتته لنا.
كنت أقول ذلك وقلبي يخفق بخوف وتمرد لا يعرف شكلاً
ولا مخرجاً.

لكن...

بلغني في المدرسة، همساً بين الطالبات، أن عمّي يريد
الزواج من أمّي، وأنه سيصير "والداً" لي. كانت الفكرة
وحدها كفيلة بإصابتي بالغثيان. نفيثُ الأمر..
لا بل رفضته بكل ما أوتيت من قوة الرفض... كأنها نبوءة
شرّ لا يجوز أن تتحقق.

لكن اليوم الذي خشيتُه جاء، ولم يكن بإمكانني صدّه.
جلس عمّي أمامنا، بعينين لا تعرفان الحياء، وقال إن علينا
الانتقال إلى بيته لتوفير الإيجار، وإنه ينوي الاقتران بأمّي
"سترًا لها... لنا".

يا للسخافة!

كان

يمنّ

علينا

بما

سرقه

من

طمأنيتنا.

اقتاد أمّي إلى أقرب مأذون، وكأنها صفقة يجب إنهاؤها بسرعة. عادت تلك الليلة صامتة، كأن صوتها نُزِع منها. عيناها تحملان أثر معركة خاسرة. تم الزواج في ساعة واحدة، وكان القدر استعجل الوجع كي يستقرّ في صدورنا.

وفي صباح كالح، حملنا ما تبقى من متاعنا القليل، وانتقلنا إلى بيت عمّي، تابعين اياه كمقادين لا حول لهم، كخراف تُساق إلى جزار جديد.

كنت أسير باتجاه الشاحنة التي اقلتنا، وأنا أصر على اسناني وأضغط على يدي حتى تترك أظفري أثرًا في جلدي، كأن ذلك الألم الخفيف يُساعدني على احتمال ألم أكبر. كنت أحسّ بأن الطفولة تُسلب مني، وأنني أدخل عالمًا

غريباً لا مكان فيه لضحكة، ولا لكتاب، ولا لسماء نظيفة.
كل شيء كان ثقيلاً:

الطريق،

الهواء،

نظرة أمي الشاردة،

وصمتها الذي يشبه استسلاماً مجبراً لا قبولاً رضيعاً.

ومع ذلك، في داخلي كانت هناك شعلة صغيرة، لا أعرف
من أين جاءت، ربما من ذكرى أبي، أو من شيء دفين في
روحي، شعلة تقول إنني سأكبر يوماً، وإن هذا الظلم، مهما
تمدد، لن يبتلعني كاملة.

كانت الطفلة في داخلي ترتجف...

نعم،

لكنها لن تركع.

وكل خطوة نحو بيت عمي كانت تُعمق عزيمتي على أن
أحيا بطريقة لا تشبه قسوته، وأن أظلّ، رغم الخوف،
حياة... تلك الصغيرة التي لم يسمح لها القدر أن تكون
طفلة،

لكنها أقسمت أن تحفظ ما تبقى من نورها في قلبها، ولو
سراً.



منذ اللحظة الأولى لخطونا عتبة بيت عمي، أدركت أنّ
 البيت ليس بيتاً، بل فخّ متقن نصبه القدر، وأجبرتُ أنا
 وأمّي على الإقامة فيه كقطعتين زائدتين في معادلة لا
 ترحم.

خصّص لنا غرفة ضيقة، جدرانها رطبة، لا تُمسك سرّاً ولا
 تحفظ خصوصية.

وزاد الطين بِلّة أنّه انتزع المفتاح وأخفاه في جيبه،
 ليقتحمها متى شاء، في أي ساعة، وبلا استئذان، كأنه يختبر
 مدى ضعفنا حين تُفتح الأبواب قسراً.

هناك، بدأتُ أتعلم مفردات الخوف المتواصل كما يتعلم الطفل الحروف الأولى. تسلَّل القلق إلى روحي كما تتسلل الرطوبة إلى جدار يتجمع نيزك الماء تحته، لا تُرى في البداية، ثم تترك ندوبًا لا تُمحي.

كنت أقضم أظفاري حتى ينضح الدم، أنتزع شعرات رأسي بعد أن أعقدها بين أصابعي بالباح، أرح ساعدي بأي شيء حادّ يقع تحت يدي.

لم أكن أفعل ذلك رغبةً، بل استجابة غامضة يفرضها خوف نامٍ في صدري، خوفٌ جعلني أتمنى، في لحظات يأس مضاء بكراهية، أن أتحوّل في عيني عمّي إلى وحشٍ يخشاه، لا طفلة يستسهل دسها.

وتعلّقتُ بأمي كتعلّق ظلٌّ بجسدٍ خائف. كنت أرافقها أينما ذهبت... في المطبخ، في الفناء، وحتى حين تتهيأ للنوم. أعرف أنها لا تستطيع حمايتي، لكن قربها كان يمنحني شيئاً من الطمأنينة والأمان... بقايا حضنٍ لا يحول دون الشرّ، لكنّه يخفف وخزه، ويبعد عواقبه. ولهذا كنت أحمل معي دائماً شيئاً خفياً:

مساراً صغيراً، حجراً بحافة حادة، قطعة حديد صدئة، شوكة...

أي شيء يمكن أن يتحوّل في لحظة إلى أداة دفاع أو ربما

إلى تميمة تمنحني وهم القوة كالحرز الذي شدته امي على ساعدي في اول يوم ذهبت به الى المدرسة ولازالت احمله.

لم نكن نعرف لمزاجه توقيتاً.

كان يخرج في ساعات مبكرة، ثم يعود فجأة في منتصف النهار، أو يدخل علينا ليلاً بعينين حمرأوين تفحان شراً، كأنّ الليل نفسه يتجسّد في موعد عودته. وهكذا عشنا في ترقّب دائم، في توترٍ يشدّ الأعصاب كما يشدّ القوس وتره.

ثم بدأت تحرّساته، واضحة، مقززة، لا يغطّيها حياءٌ ولا تسترها بذرة رحمة.

كان يسحبني من ذراعي بعنف لأجلس قربه، يتعمّد مراقبة فتحة صدري الصغيرة، يمدّ يده إلى أردافي حين يعلم أنني نائمة، أو يفتح باب الغرفة لحظة تغيير ثيابي استعداداً للمدرسة.

كانت عيناه تُعلن ما في نفسه قبل يديه. وكنتُ أعرف، بحدس طفلة خُدشت براعتها مبكراً، أنّه ينتظر اللحظة المناسبة لارتكاب ما هو أفدح من اللمس.

ولم يكن لديّ مخرج. فكرتُ أن أهرب إلى بيت عمّتي، لكنّها كانت نسخة أخرى من أخيها: بخلٌ، وجشعٌ، وخوفٌ أعمى

من سطوته، فلا ملاذ هناك.

حاولتُ التفكير بمن يمكن ان يصدقنا من الناس، معارف، اقرباء، جارة عجوز، معلمة في المدرسة، لكنّ الجميع كانوا يتجنبونه كما يُتجنَّب الوباء.

وحتى لو كلمتهم، فلن يصدّقني أحد.

بل ربما يُتهم جسدي الصغير بالعار، ويُلقى بي في أول مكبّ نفايات كما تُرمى الأشياء المكسورة.

كان عمّي يُذكّرنا، كلما سنحت له الفرصة، بأنه "سترنا" من الشارع، وأنّ فضل وجودنا فوق أرض بيته يعود له وحده. يلوّح بالمهانة دائماً كما يلوّح الظالم بسيفه، يريدنا ممتنّين لظلمه، لاهجتين بمعروفه، ومدينّتين لقهره حتى آخر العمر.

وحين كنت أدفع يده عني أو أرفض الجلوس قربه، كان يهددني بحرمانني من المدرسة، ذلك الملاذ الذي لم يبق لي سواه.

يقول إنه سيحبسني في البيت، وإن عليّ أن أطيعه. وحين تتدخل أُمي، راجيةً، يزداد غضبه حتى يكاد يفقد صوابه، ينهال علينا شتمًا وضربًا، كأن وجودنا خطيئة تُستوجب العقاب.

ليالي كثيرة، كان النوم يجافيني خوفاً، فلا يغمض لي جفن إلا بعد أن أسمع وقع خطواته تغادر البيت.
حينها فقط كان جسدي يرضى أن يستسلم للنوم تعباً.
كنت أدعو، بلسان طفلة لا تعرف سوى البكاء والدعاء، أن تحلّ به مصيبة تبعده عنا، أن يضلّ الطريق، فلا يعود أبداً.
لم تكن أمنية مبطنة بالحدق فقط، بل كانت محاولة للنجاة، محاولة يائسة للبقاء.

كنت أتحيّن كل لحظة كي أتفادى ما قد يحدث:

أنسلّ مبتعدة عن طريقه،
أخفي جسدي في الظلال، وأتعلم، ما استطعت، أن أغدو
أصغر ما يمكن، كأن الوجود يصير عبئاً يجب أن يُخفى.
ومع ذلك، كانت هناك شرارة صغيرة في داخلي، لا تزال
تقاوم.



مِرْت
الشهور
ثَقِيلَةٌ

كحجارةٍ تتدحرج فوق صدري، أتحاشى وجودي في
حضرته كما تتحاشى الظلالُ نوراً يحرقها.
كنت أتقن فنّ التواري والاختفاء، أختبئ خلف جدران
الصمت وأبواب غرفتي، أحسب أن العزلة قادرة على أن
تُعمي عين الشرّ المتربّصة بي.

لكن الشرّ يعرف أين يختبئ الخوف... ويعرف كيف به
يتربص.

حلّ يوم ميلادي الحادي عشر، يومٌ ما كان ينبغي له أن
يكون سوى فرح صغير لطفلةٍ تُطفئ شمعةً وتسرح بخيالها.
لكن السماء في تموز كانت قاسية، ترسل شواظها فوق
رأسي حتى شعرتُ أن وجهي يحمرّ كخيزٍ خرج توأً من فم
التنور.

عدتُ من المدرسة أجرّ قدمي المتعبتين، وركضت إلى
المطبخ لأسكب ماءً يُطفئ جمرًا يشتعل في صدري قبل
وجهي.

وحين استدرتُ لأصعد إلى غرفتي وأستبدل ملابسي، وجدته
يقف في باب المطبخ، يسدُّه بجثته كما يسدُّ الغادرُ طريق
نجاةٍ أخيرة.

كانت عيناه تنضحان بالدناءة، بريقٌ خبيث فيهما كأنهما
ثقبان يقذفان شواظًا اسواداً.

تجمدتُ مكاني وسألته بصوتٍ مرتعش:

- عمي... أتريد ماءً؟

لم يُجب. كان الصمت على لسانه أشدَّ رعباً من أي كلمة.
تقدّم نحوى خطوةً بعد أخرى، كذئبٍ يقترب من فريسته وهو
واثقٌ أن لا خلاص لها. صرخت:

"ماما!"

ارتدّ الصوت عليّ كأنه ضائعٌ في بئر مهجورة.

قال ببرودٍ يُشبه برد المقابر:

أمك ليست في البيت... اهدي وكوني عاقلة.

كنت أرتجف، لكن، ليس من الماء الذي بللت به يدي
ووجهي، بل من شيءٍ أعمق:
من إدراكٍ مفاجئٍ بأنني وحيدة تماماً.

قلت له محاولةً أن أستجمع بقايا شجاعتي:

- إذن... اسمح لي أن أمرّ.

- سنخرج معاً.

- لا... أريد غرفتي.

كنت قد خطت في داخلي أن أهرب إلى الشارع، إلى أي
ضوءٍ يحميني من هذا الظلام الذي يقف أمامي الآن.
لكنّه لم يتركني أفكر طويلاً.
قبض على ساعدي بقوة، يده كانت خشنة كيد جلد.

لم أجد سلاحاً سوى كأس الماء إلى جانبي، فرفعتُه وضربتُ
 يده بكل ما في ذراعي الصغيرة من غضبٍ ويأس.
 صرخ، شتمني، رفع يده وصفعني صفعَةً أطاحت روعي
 قبل جسدي.

نهضتُ
 كالغريزة،
 لا كالقوة.

دفعته بكل ما فيّ من رمق نجاة، ركضت نحو باب البيت،
 كنت أسمع دقات قلبي أعلى من صراخي.
 أصرخ لعلّ الشارع يسمعي، لعلّ العالم يسمع طفلةً تُستباح.
 لكنه التقطني من شعري، سحبني كما تُسحب دمية قذرة.
 كنت أتلوى تحت قبضته، مستعدةٌ أن أفقد شعري كله ولا
 أفقد نفسي.

كان بكائي يثير فيه وحشاً كامناً. فقلت له وأنا أرتجف
 كعصفور مبتلّ:
 " عمي... أرجوك...
 أنا حياة، ابنة المرحوم أخيك.
 أستحلفك بالأخوة...
 بالدم... "

لا تؤذني. أنا ابنتك أيضاً...
أرحمني."

لكن الرحمة لم تكن ضمن معجمه القذر...

رمانى، وأنا لا زلت اصرخ، في زاوية غرفته كما يُرمى جرمٌ لا قيمة له، ثم أغلق الباب وأخفى المفتاح. التفت إليّ وقال بابتسامةٍ منتهكة للإنسانية:

"ومن قال إنك ابنة أخي؟"

اسألي أمك عن نطفتك...

أنتنّ بلا أصلٍ ولا نسب،

لولاي أنا، لكانت الشوارع مأواكنّ."

كانت كلماته أغلالاً تُلقى على روجي.

حاولتُ أن أبحث عن شيءٍ أدافع به عن نفسي، حجر، قلم، أي شيء، لكنه انقضَّ عليّ ككلبٍ مسعور.

مزّق ثيابي، يده تهوي عليّ ضرباً، وأنا أضغط أظافري في جلده، وأعض أي جزء منه في متناولي، أردّ الضرب بالضرب، كمن يدافع عن آخر نفسٍ في صدره.

دفعني بقوّة على حافة السرير، اصطدم رأسي بخشبةٍ بارزة منه، ورأيت العالم يُصبح ضباباً.
ظله يقترب،

يشتتم،
يربط يديّ بعمود السرير كأنني جارية في زمنٍ مظلم.
وفي تلك اللحظة...
مات شيءٌ كبير في داخلي.
لم تكن مجرد لحظة اغتصاب...
كانت لحظة موت.

وحين انتهى، سحب جسدي كما تُسحب الجثة، ورماني
خارج الغرفة.
كنت دماً بلا روح، أنفاساً متقطعة لروحٍ أنهكت حتى
النهاية.

ذلك اليوم...
لم أنته فقط.
بل بدأت أفهم أنني أصبحت "عاراً" في عينيه، وأن سيف
الموت قد ينهال عليّ في أي لحظة بذريعة غسل العار...
فقط لأنني قاومتُ وصرخت.



لم أعد قادرةً على الحركة، كأن جسدي كله قد استحال حجراً
 يابساً طُرح على أرضٍ باردة. انقطع صوتي عن البكاء،
 وتبيّست دموعي فوق وجهي كأثرٍ أخيرٍ لروحٍ كانت تقاوم ثم
 خارت.

لم أعد طفلةً في تلك اللحظات، بل شبهاً ينظر إلى الدنيا من
 وراء زجاج معتم.

وبينما كنت غارقةً في وجعي وخوفي، سمعت صوت
 المفتاح يلتف في الباب كما لو أنه يفتح قبراً.

فتحت أُمِّي الباب. وما إن وقعت عيناها عليّ حتى صرخت
 كأن شيئاً انتزع من قلبها.

لم تسأل،

لم تحتج إلى سؤال...

كانت الأم تعرف بعينها ما تعجز عنه لغة البشر.

هرعت إليّ،

تنوح

تولول،

تحاول أن تفهم أين يبدأ جرحي وأين ينتهي.

ساعدتني على النهوض، وأنا أثقل من أن تحملني ذراعاها

الضعيفتان.

سافقتني إلى الحمام، وأجلستني تحت الماء.

كانت تغسلني بدموعها قبل الماء، تمرر يديها المرتعشتين

على وجهي وكأنها تحاول محو ما لا يُمحي.

كنت أسمع من خلف الباب صراخاً متقطّعاً، شتائم كالسهام،

صوت ارتطامٍ غاضب.

كان عمي، ذلك الوحش الذي يتنفس بين جدراننا، يهدّها

ويقذفها بالإهانات، يتوعدنا بالطرد والتشريد إن هي فتحت

فمها أو حاولت أن تحميني منه.

كان صوته طعنةً أخرى، تُذكّرني بأنني لم أكن ضحية للحظةٍ

واحدة، بل ضحية لقدرٍ جائرٍ يحيط بي من كل الجهات.

مكثت أسبوعاً طريحة الفراش.

جسدي لم يعد جسدي،
روحي معلقة في مكانٍ لا أعرفه،
لا أرض ولا سماء.

أمي كانت تجلس عند رأسي، تحاول أن تنطق بكلمة مواساة،
فأصدها بنظرة هاربة. لم أرد شيئاً...
لم أعد أريد الحياة نفسها.

كانت فكرة الانتحار تمرّ بخاطري كما تمرّ السحابة
بالسماء، لا تلبث أن تغادر، لكنها تُظلل القلب بظلامها قبل
أن تمضي.

كنتُ ضائعة في عالمٍ لا يرحم
طفلةً كُسرت قبل أن تفهم معنى الكسر.

توقفت عن الذهاب إلى المدرسة. لم أعد حقيبي، لم أمسك
قلماً، لم أودّع أحداً.
خرجت من عالم الطفولة كما تخرج الروح من الجسد: بلا
عودة.

وحين بدأت أستعيد وعيي شيئاً فشيئاً، شعرت بوخزة في
ذراعي.

لمست المكان فإذا به "الحرز"، ذاك التميمة التي ربطتها
أمي حول ساعدي منذ صغري، وقالت إن فيها بركةً

تحفظني من الشرور.
 تأملته طويلاً، وفي داخلي مرارة لا تشبه أي شيء.
 هذا الشيء، الذي كان يُفترض أن يحميني، خائني في
 اللحظة التي احتجت فيها إليه أكثر من أي وقت.
 نزعتُه بغضبٍ وبكيت، كأنني أقتلع خيبةً عالقة في جلدي.

رميته بعيداً...

لكن شعوراً غريباً شدني إليه. كأنه يناديني بصوتٍ خافت:
 "صحيح أنني خذلتك... لكني ما زلت قادراً على أن أحفظ
 أسرارك".

ترددتُ،

ثم

التقطته

ثانيةً.

بوضع ما، كان الحرز الشيء الوحيد الذي لم ينظر إليّ بعين
 إدانة، لم يجرحني، لم يلوح بيديّ قدرة على البطش. كان
 كصندوق صغيراً... وفي داخله مكانٌ يصلح أن يحتضن
 وجعي.

فتحتُه...

كان يحوي بعض الأوراق القديمة الملفوفة.

أخرجتها، طويتها بهدوء ووضعتها في حقيبتي، ثم جلبت أوراق الشفافة.
 شعرتُ بأنني بحاجة إلى أن أفرغ كل ما يثقل صدري.
 أن أرسم جراحي بكلمات، أن أضعها على الورق عليها تكفّ
 عن مطاردتي في الظلام.
 لم أكن أبحث عن عزاء، كنت أبحث عن نجاة:
 نجاة روحية، خيطٍ رقيقٍ يربطني بما تبقى مني.

وبدأت

بدأت...

أكتب...

كان قلبي يرتجف كقلبي، لكنّه يكتب...
 يكتب ما لم أستطع قوله لأمي، ما لم يسمعه الشارع حين
 صرخت، ما لم يفهمه أحد.
 كلما كتبتُ سطرًا، شعرت أن قطعةً مظلمةً داخلي تتلاشى
 وبصيص ضوء واهن يتنفس.
 لم يخفف الألم، لكنه صار قابلاً لأن يُلمس دون أن أموت
 مرةً أخرى.

وحين انتهيتُ من أول ورقة، طويتها طياً محكماً، وأخفيتُها
 في الحرز، ثم ربطته حول ذراعي من جديد.

كان الربط أشبه بميثاقٍ جديد، كأنني أعيد بناء ذاتي بخيطٍ
من الحبر والورق.
لم يكن الحرز هذه المرة تعويذةً ضد الشرّ، بل صندوق
الريح الذي يحمل صوتي،
سرّي،
حكايتي...
التي لن تُدفن بعد اليوم.

ومع كل ورقةٍ أكتبها، كنت أشعر أن "حياة" - تلك الطفلة
التي ظننت أنها ماتت - ما زالت في مكانٍ ما داخلي، تنفض
غبار الانكسار، وتتهياً ببطءٍ شديدٍ للعودة إلى الضوء.

في مكانٍ عميقٍ داخلي، ظلّ جزء صغير من حياة...
يرفض أن يموت.

جزءٌ خافت، صغير جداً، لكنه موجود...
ينتظر يوماً ينهض فيه من بين الركام فينتقم.



مضت سنتان...

سنتان ثقيلتان كدهرٍ يجرّ أذياله على كتفيّ النحيلين، وأنا
أبحث، في صمتٍ عميقٍ يشبه خفوت الأنفاس، عن مخرج
آمن من عتمتي، عن نافذةٍ لا تطل على الهاوية.
لم أكن أفكّر بالخلاص بقدر ما كنت أبحث عن معنى أن أظلّ
على قيد الحياة.
في داخلي كانت النار تشتعل، ورغم هشاشتي كنت أعني
تماماً أن في قدرتي، لو أردت، أن أقتله.
غير أنّ الفكرة نفسها كانت تسقط من قلبي كحجرٍ في بئرٍ بلا
قرار.

أيُّ عدالةٍ تلك التي ستنقذني لو رفعتُ عني حاجز الخوف
وطعنته بخيبتني؟

هل سأفلت من العقاب؟

أم سألقى في غياهب سجنٍ لا تنتهي لياليه، وتلاحقني لعنات
مجتمعٍ يتقن قلب الحقائق؟ مجتمعٍ يرى في الجلاذ ضحيةً
بيضاء، وفي الضحية مجرمًا يستحق القصاص؟

في بلدٍ تحكمه شريعة الغاب، والعشائر، والأعراف التي
تجعل المرأة مذنبه قبل أن تنطق، متهمة قبل أن تُسأل، عاراً
يمشي على قدمين...

وإن كانت هي المكسورة الجناح.

كان عمي لا يملّ من التهديد.

صوته يأتيني كل ليلة كصفعةٍ جديدة:

" لا تنكسفي... "

إن عُرفت الفضيحة

فلن يكون لي حلٌّ سوى...

غسل العار.

كانت كلماته تتردد في داخلي كناقوس موت.

تعلمتُ معها أن الصمت ليس اختياراً بل نجاة، وأن

الرضوخ ليس ضعفاً بل محاولة يائسة لأن أبقى حيّة، ولو

على حافةٍ ضيقة من الظل.

انطويتُ على نفسي. لم أعد أخرج من البيت، ولا أستقبل أحداً.

اختفت حياة من العالم، وبقيت «حياة» أخرى، ساكنة، تننفس في داخلي بشيءٍ يشبه الاحتضار.
غير أن السكون كان وهمًا، فداخلي لم يكن خامدًا كما يظن من يراني. كان بركاناً صغيراً، يكتم غليانه في النهار ويستفيق ليلاً.

في النهار كنتُ أتحرك في البيت كأنني خيالٌ مدجّن، ألبى طلباته، أقوم بشؤون المنزل، أتعمد أن أبدو منحنية، صامتة. ربما، لو رأني مكسورة يزهد في إيذائي، أو لعلّ انكساري كان درعاً أرتديه لأمضي يومي بحدٍ أدنى من الألم. ومع ذلك، كنت أشعر بثقل نظراته عليّ، كأنها يدٌ خفية تمسح على ظهري بنصل سكين بارد.

وفي الليل...

كان لي عالم آخر.
عالمٌ ضيق، لكنه العالم الوحيد الذي أتنفس فيه.
أجلس قرب نافذتي الصغيرة، تلك التي لا تكشف إلا قطعةً من السماء، وأرافق أوراقتي كما ترافق الروحُ ظلّها الأخير.
**كنت أفتح الحرز،
أخرج أوراقتي الشفافة،**

أكتب وأمزق،
اعود لأكتب بحمي، كأن الكلمات هي الهواء الوحيد الذي
أستطيع أن أبتلعه دون أن أختنق.

كنت أكتب:

عن خوفي،

عن قهري،

عن البيت الذي يشبه قبراً،

عن رجلٍ يعيش تحت سقف واحد معنا ولا يشبه البشر.

أكتب عن أمي التي تذبل كل يوم قليلاً، وتخفي ضعفها بقوة
مصطنعة،

وعن تلك اللحظة التي تبدلت فيها حياتي إلى ما لن يعود.

وأحياناً...

كنت أكتب عن انتقامي.

لم يكن انتقاماً من لحمٍ ودم، بل انتقاماً من القدر الذي سلمني
بيديه لطفولةٍ مُزقت قبل أوانها.

كنت أتخيلني أقف يوماً ما أقوى، أطول، لا يقدر أن يرفع
صوته عليّ.

كان المشهد يشبه حلماً يتكرر، أحفظ تفاصيله: أنا واقفة
أمامه، لا أرتجف، أقول له كلمة واحدة فقط، كلمة تشبه

صفحة... كفى! تلك الكلمة وحدها التي كانت تعني لي
القدرة على استعادة نفسي.

مرّت الليالي وأنا أكتب في الظلام، أدفن أوراقِي في الحرز
كما يُدفن سرّ في صدر الزمن. كنت كلما طويت ورقة
شعرت أن جزءاً صغيراً مني يلتئم، وأني أبني، ببطءٍ مؤلم،
جداراً خفياً يحمي ما تبقى من روحي.

مع كل كلمة، كنت أتعلم أن الخوف لا يُقاوم بالصراخ، بل
بالبقاء...

بالبقاء حيّة رغم كل شيء.

لكن شيئاً آخر كان يتشكل داخلي...

شيء يشبه القوة.

قوةٌ لا تشبه العنف ولا الصراخ، بل أشبه بنبتة صغيرة تنشقّ
الصخر التماساً للضوء.

لم أعد تلك الطفلة التي ماتت في الورقة الأولى.

كنت الآن الفتاة التي:

تعرف عدوّها،

تعرف ضعفها،

وتعرف، وهذا الأهم

أنها يجب ان لا تبقى طويلاً على هذه الحال.

كان الليل صديقي الوحيد، والكتابة هي اليد التي تنتشلني من الغرق.

ورغم الصمت الذي يحيطني، كنت أعلم أنه ليس نهاية...
بل بداية لشيء ما، يتشكل، ينمو، يكبر، وسيأتي يوم يخرج إلى النور.



كأن البلاد قد انفجرت من داخلها،
كجرح ظلّ يخفي نزفه طويلاً ثم
انفلت فجأة.

خرج الناس إلى الشوارع يصرخون بالعدالة، يطالبون
بإطلاق المسجونين، يهتفون ضد القهر، حتى بدا أن الهواء
نفسه صار يحتجّ.
وما هي إلا أيام حتى سقطت جدران النظام مثل غبار تهاوى
تحت المطر.

انتشرت الفوضى كحريق يتغذى من اليأس، تتقاذفها

عصاباتٌ، وولاءاتٌ جديدة، وكلُّ يمدُّ يده ليقطع نصيبه من الخراب.

في هذا الانهيار تغير عمي...
لا، بل تكشف.

كانت لحيته التي نبتت فجأة لا تشبه التدنين، بل تشبه ستارًا
يُخفي شيئًا:

أعمق من الدناءة،

وأشدّ ظلّمة من الخسة.

صار يتجوّل في الحي وخلفه رجال مسلّحون، يرفعون
شعارات الدين على أكتافٍ تلطخت بالغنائم.

يتحدثون عن الشرع، شرع الله، كما يتحدث اللص عن
مفاتيحه.

وعندما يعودون إلى البيت، كان المكان يضيق بأنفاسهم،
بأصواتهم الثقيلة، بضحكاتهم التي تجرح جدران الليل.

تحوّل بيتنا إلى وكر، لا يكاد يخلو من السلاح والرجال.

أمي وأنا

نخدمهم كأننا غبارٌ في طريقهم.

العيون "آه تلك العيون" لم تكن تنظر، بل تنهش.

رغم حجابي، رغم محاولتي الانكماش في ظلِّ أصغر من

جسدي، كانوا يرونني.

يروون اللحم الصغير الذي صار عبئاً عليّ، يرون خوفاً
يحلون لهم أن يروه لأن الخائف يسهل امتلاكه.

لم يكن عمي يوماً رجلاً رحيماً، لكنّ البلاد حين احترقت،
احترقت معه كل ذرة إنسانيته فيه.

كان قد هتك طفولتي وأنا في الحادية عشرة، سرق براءتي
ثم أخفاها كما يخفي جرمٌ مُحكم الإغلاق.

كنت أظنه يوماً ذنباً واحداً منفرداً، لا يتكاثر، لكنني كبرت
لأكتشف أن الذئاب تتوالد حين ترى الفوضى وتمعن في
الطراد والاغارة، وأن الوحش الذي مزق جسدي في
صغري صار اليوم قائداً لقطيعٍ جائع.

وما عاد يخفي رغبته في بيعي لهم، واحداً تلو الآخر، باسم
"الزواج" و"الشرع"، كفضيلة تُهدى، لا كطفلة تُذبح.

كنت في الرابعة عشرة، لكنني أشعر أن عمري صار
ضعف ذلك.

كان السنوات التي سرقت مني أثقلت ظهري قبل أن يشتدّ
جسدي الذي بدأ يتغير، يتفتح على أنوثةٍ لم أطلبها، ولم
تحتملها روعي، بل صارت نذيراً لما ينتظرنني.
وكنت أخشى الليل أكثر من النهار، لأن الليل يحرر وجوههم
من الأقنعة.

يضحكون كثيرًا حين يذكرون "التزويج"، يتهامون عن
 "الليلة المباركة"، كأن الشرّ حين يُعطى اسمًا دينيًا يصبح
 نعمة.

في تلك الليالي، حين يدوي الرصاص في الخارج، كنت
 أشعر أن الحرب كلها تتواطأ علينا. البيت يهتز، الشوارع
 تعوي، لكنّ خوفي الحقيقي لم يكن مما يجري للبلاد، بل مما
 يجري لجسدي، لروحي التي تختنق كلما ورد اسم
 "الزواج" على لسان عمي.

كنت أعرف أنه لا يقصد بي إلا الصفقة، إلا البيع، إلا أن
 يُسلّمني لأول رجل من عصابته يرفع يده.
 كنت أعرف أنني سأعري من كل شيء، من أمي، من
 نفسي.

أمي...

كانت ترى وتخاف،

عاجزة...

مكسورة..

تنظر إليّ أحيانًا وكأنها تعتذر عن الحياة كلها، ثم تخفض
 عينيها قبل أن يفضحها البكاء.
 كنا نغرق معًا، لكنها كانت تخشى أن تسبح، وأنا كنت أخشى
 أن أموت دون محاولة.



وفي إحدى الليالي التي انشقت فيها الظلام عن أصوات
اشتباكٍ قريب، عاد عمي متجهماً، غارقاً برائحة البارود
والتعب.

دخل غرفته ثم ناداني بصوتٍ ملغوم.
كان صوته وحده يكفي ليعيد إليّ كل الكوابيس التي سجننتني
منذ العاشرة.

ترددت لحظة عند الباب.

تساءلت:

ماذا بقي لي بعد أن سفك طفولتي؟

ماذا يمكن أن يأخذ أكثر؟

دخلت.

كان يجلس في عتمةٍ لا يضيئها إلا خيط من نور متعب.
لم يكن ينظر إليّ كطفلة، بل كشيءٍ يُسوّق. قال لي بهدوءٍ
شرس:

"غداً... سيأتي من سيتزوجك.

شرع الله، ولا اعتراض".

شرع الله...

كم من الجرائم تُرتكب حين يتوارى الله ويُترك الشرع بين
أيدي الوحوش.

تجمدت.

شعرت كأن الأرض انكشفت حتى غدت حافة هاوية.

وعندما اقترب مني، خطوة بعد خطوة، نهض شيء في
داخلي، شيء لم أعرفه من قبل. ربما هو الظل الأخير من
إنسانيتي، ربما هو ما تبقى من طفلةٍ لم تمت بعد رغم كل
شيء.

تراجعت.

قال غاضباً:

"لا ترفعي عينيك عليّ هكذا والآ!"

لكنني

رفعت

عيني.

ثم صرخت...

صرخة خرجت من عمقٍ لم ألمسه أبدًا من قبل.

وركضت...

وركضت نحو حضن امي...

ركضت كأن الأرض تشتعل تحت قدمي، كأن صرختي كانت أول نسمة حريةٍ عرفتها.

لم أنتصر بعد.

ما زلت في بيتٍ تحكمه البنادق، وتديره الذئاب.

لكنني في تلك الليلة أدركت أمرًا واحدًا، يكفي لأن يُبقيني

واقفة:

إن الروح، مهما ضُيقت عليها الجدران، تظل قادرة على أن

تتمرد...

وأن تحيا...



لم تعد الغرفة غرفة بعد ذلك اليوم، صارت كهفًا مظلمًا،
 وسجنًا بابه يقف على صريرٍ مرعبٍ يمكن أن يُفتح في أي
 لحظة بيد رجلٍ يظن نفسه "مشتريًا" لجسدي.
 كل زاوية فيها..

صارت فخًا،

كل ظلٍ.. احتمالًا لهجوم،

وكل دقيقة..

انتظارًا لطاغٍ جديدٍ يقتحم عالمي الصغير باسم:

الصفقة،

الشرع،

والمال.

كنت أعيش في تلك العتمة كعصفورٍ جريح، لكنه رافض أن يمد له أحدٌ يداً تقص جناحيه.

وحين دخل أولهم...

كان يجر أذيال رائحةٍ كريهة من التدين المزيف، يتمتم باسم الله وهو يتنح كمن يتهياً لخطيئة يريد لها من السماء غطاءً.

لم يخجل من نظراتي، ولم يتردد لحظةً. أنا وحدي التي كنت أتردد بين الهرب والصراخ والقتال. تجمّدت في زاوية الغرفة، أرتجف غضباً، لا خوفاً. قال بصوتٍ خشن:

"لقد دفعت لعمك... وسأصلي قبل كل شيء".

كم من الجرائم تبدأ بالصلاة حين يفقد الناس معنى الله!

قلت له، وأنا أشعر بصوتي يتحول إلى سيف:

"لكنني لم أوافق على الصفقة".

اقترب خطوة، وفي عينيه تلك الوقاحة التي تتغذى من

الفوضى، وقال ببرود:

"دفعْتُ... وهذا يكفي".

أجبتة، واقفة رغم رجفة ركبتيّ:
"اخرج الآن... لن تلمسني إلا على جثتي".

ابتسم ابتسامة مستترة بالسخرية:
"ليس هناك وقت للجدال... ولم أكن الوحيد الذي سيدخل
هذه الغرفة".

كانت تلك اللحظة شرارة.
اندفعت نحو الباب بكل ما بقي في جسدي من قوة، لكنّه كان
أسرع، قبض على ذراعي بقوة ذئب، ثم ضرب ظهري
بمقبض رشاشه.
سقطتُ، غير أن القدر وضع بجانبني أحد الكراسي الخشبية.
أمسكت قائمته بكلتا يديّ، وصرخت صرخة خرجت من
أعماق السنوات التي سرقوها مني، ثم هويتُ بالكرسي عليه.
لم يكن يتوقع أن تنهض صبية مكسورة في وجهه.

ترنّح، ثم انقضّ كحيوان يُدرك أن فريسته قاومته.
التقط الكرسي من يدي، رفعه عاليًا ثم هشّمه على كتفي
وظهري، لتتناثر أجزاءه في الغرفة كأنها شظايا من حياةٍ
تتكسر.

الألم لم يشلّني، بل أشعل شيئاً داخلي.
شيء يشبه صمود شجرة ضربتها العاصفة فلم تنحن.

ثارت ثائرتة، وراح يضربني بعقب الرشاش على رأسي،
مرارًا، وهو يصرخ:

"ستطيعين!

غصبًا!"

لم أطمع.

لم أصرخ طلبًا للنجاة، بل صرخت لأردّه عني.

وعندما سقطت إحدى شظايا الكرسي قرب يدي، قبضت
عليها، ونهضت مترنحة، كأني أنهض بأخر قطرة كرامة
تسري في عروقي.

وباغته بضربة على زند ذراعه.

صرخ، ثم استدار وصفعني صفعًا كادت تخلع روعي من
جسدي، وأسقطني أرضًا.

انقضّ عليّ بعدها بوحشية عمياء، يفترسني وكأنه ينتقم

لرجولته التي هزمتها فتاة، لم يتوقع مقاومتها.

لم يكن في ضرباته سوى الحقد، ولا في أنفاسه سوى الغلّ..
وحين انتهى من وحشيته، بصق على وجهي... بصقة كانت
أقسى من الضرب.

ثم خرج، يصرخ ويشتم، كأنه هو من تعرّض للظلم.

تركني جثةً ممدودة، نصف واعية، نصف طافية فوق الألم. كنت أشعر بدمي يسيل على الأرض، بدقات قلبي تتناقل، وبجسدي كأنه ليس لي.

أضربت عن الطعام والشراب، حتى أمي...
لم أعد أريد رؤيتها.

ليس لأنها مذنبه، بل لأنها عاجزة، ولأن عينيها حين تلمحاني تحملان ألمًا لا أحتمله.

لم تمرّ سوى ساعات، حتى فُتح الباب مرة أخرى...
صوت ثقيل، خطوات خشنة، ظل رجل آخر يملأ المكان. لم أعد أميّز الوجوه، صرت أرى كل رجل وحشًا بوجه واحد.
حاولت أن أصرخ، لكن الصوت خرج خافتًا، كأن حنجرتي ترفض العودة للحياة.

حاولت أن أزحف بعيدًا، لكن جسدي لم يعد يستجيب.
شعرت ببرودة المكان تحاصرني، ثم عتمة ثقيلة طافت فوق رأسي.

لم أعرف كم اجتمع حولي من الذئاب.
كانوا يتداولون الغرفة كأنها مسرح مُظلم يُعاد فيه المشهد نفسه، وأنا جثةٌ لا تقاوم إلا بعينيّ حين تفتحان لثوانٍ..
تحدّقان فيهم بحقدٍ يرفض الموت.

كنت أرى فيهم ذئاب مفترسة، تأكل فتاةً مرمية على حافة الحياة.

لم أصحُ إلا على صوت أمي وهي تبكي وتصرخ:

"حياة... حياة! تنزف..."

بُنيتي تنزف! ..

يمكن..

أنها ماتت!"

لكنني لم أمت.

كنتُ معلّقةً بين الحياة والموت، في منطقةٍ رمادية لا وعد فيها ولا نهاية، لكن شيئاً ما خفياً في داخلي، شيء اعتاد النجاة، رفض أن يترك الحبل يفلت من يده.

لم يكن صوتاً واضحاً، بل إحساساً غريزياً بأن السقوط الكامل لم يحن بعد.

كأن روعي، رغم كل ما انهال عليها، كانت تشدني وأنا أتدلى من حافة الهاوية، لا لتعدني بالخلاص، بل لتهمس فقط:

تماسكي... لم يبقَ لكِ سواكِ.

وحين عاد الوعي إليّ ببطء، أدركت أن الصمت ليس حماية، وأن ما يُدفن في الداخل لا ينام، بل يتعقّن. أن ما لا يُكتب سيتحوّل إلى وحش يأكلني من الداخل، وأن

عليّ أن أوصل أوراقِي، لا لأنني قوية، بل لأن التوقف
يعني الضياع.

في تلك اللحظة، بين الألم والدم، بدأتُ الورقة التاسعة.
وكانت ضرورةً ملحة، حاجةً بدائيةً للبقاء.
وطريقةً وحيدةً لأقول:
أنا هنا... لم أمحَ بعد.

ورغم أن الجسد كان مكسورًا، مثقلًا بما لا يُحتمل، بقيت
الإرادة يقظة،
كجمرةٍ صغيرةٍ في عمق الركام،
خافتة... لكنها عنيدة،
ترفض، بصمت، أن تنطفئ.



لم تكن الورقة العاشرة امتدادًا لما قبلها، بل خروجًا صامتًا من اللغة نفسها.

بدت كأنها وصلت متأخرة عن الكلمات، أو سابقةً عليها. ورقة متعبة، مجعّدة، تشبه جسد حياة بعد أن استنفد احتمالها الأخير، لا مطوية بعناية، ولا محفوظة بخوف، بل منفلتة، متقدّمة، كأنها تعرف أن دورها ليس في الترتيب، بل في الختم.

كانت خالية...

إلا من أثر:

بصمة إبهامٍ صغيرة.. مغموسة بدمٍ داكن لازال يحتفظ

بحرارته، منطبعة على البياض كختم لا رجعة فيه.
 لم تكن علامة حضور عابر، بل تكثيفاً لحياة كاملة في لمسة
 واحدة.
 صرخة بلا حروف.
 شهادة لا تحتاج تفسيراً.

وقفتُ أمامها طويلاً.
 كان الفراغ فيها صاخباً، يضحّ بكل ما عجزت اللغة عن
 حمله.

شعرت أن حياة، حين وضعت إصبعها على الصفحة، لم
 تكن تترك أثر جسد، بل تودع خلاصة وجودها..
 ما قاومته،

ما صمدت له،

وما لم يُمنح لها وقت لتقوله.

كأنها جمعت في تلك البصمة ليالي الصراخ التي لم تجد لها
 أدناً، ومحاولات الدفاع التي خاضتها بجسدٍ صغير وروحٍ
 عنيدة.

ربما لم تعد قادرة على الكتابة.

ربما خانتها اليد، أو انحسر الضوء من عينيها، فاختارت أن
 تجعل الدم حبرها الأخير.

وربما أرادت، ببساطة، أن تقول ما لا تسعه الجملة، ولا
 تحتمله البلاغة.

كانت البصمة وحدها كافية لتفتح المعنى على مصراعيه.

لم ترد حياة أن تُختزل في دور الضحية، ولا أن تُطوى
قصتها في صمتٍ مريحٍ للآخرين.
أرادت أن تترك دليلاً لا يُكذّب، أثراً لا يُؤوّل، حقيقةً لا
تُخفى.

فالدّم، حين يلامس الورق، لا يعرف المجاز.

ثم بدا لي أنها تقول شيئاً آخر، أكثر عمقاً وهدوءاً:

أنا هنا!

كنت هنا..

ولن يستطيع أحدٌ محوي.

حياة لم تكتب لثُستدرّ الشفقة، ولا تستدعي الرحمة، بل لنترك
رسالة صلبة، حادّة، تشبه حدّ السكين حين يشقّ العتمة
توطئة لفجر صادق.

كانت رسالتها موجهة لمن سيأتين بعدها:

لكل من ظنّ أن الصمت قدرها،

ولكل جسدٍ اعتدى عليه وحمل وزر الجريمة،

ولكل روحٍ ارتجفت خلف بابٍ مغلقٍ.

كانها تقول:

الخطأ ليس فيك!

ولا العار يسكن جسدك!

ما دمت تقاومين، فأنتِ على قيد المعنى..

لم تحلم حياة بالنجاة وحدها..
 كانت تحلم بأن يكون للألم معنى، وللمقاومة أثر.
 وحين لم تستطع أن تكتب جملتها الأخيرة، تركت دمها
 يقولها عنها.
 فالدم، أكثر صدقاً من الكلام، وأكثر قدرة على البقاء.

في تلك اللحظة، لم تكن تفكر بمن أسأؤوا إليها، ولا بمن
 خانوا إنسانيتها.
 كانت تفكر بالفتاة التي ستقرأ أوراقها يوماً، في غرفة
 مشابهة، وربما في خوفٍ يماثل خوفها.
 كانت تهمس لها، عبر الزمن:

اكتبي..

اتركي أثرًا..

لا تسمح لي للعنة أن تكون آخر ما يُقال عنك.

أدركت وأنا أتأمل البصمة أن حياة لم تكن تبحث عن
 خلاص، بل عن خلود..
 خلود الصوت الذي انكسر ولم ينطفئ، وترك رجعاً يهدي
 غيره للطريق.

لم تكن الورقة العاشرة نهاية سرد، بل بداية معنى.
 ورغم غياب الكلمات، كانت أكثر الأوراق امتلاءً، لأن الفراغ
 حين يُختم بالدم، يتحول إلى صرخة مكتملة.

وقفت عندها كأنني على تخوم حياتين:
 حياة غابت جسداً،
 وأخرى تولد من أثرها.
 اراني هي، لأنني لا اريد لقصتها ان تنتهي.
 شعرت أن ما سَلَّمْتَنِيه لم يكن أوراقاً، بل عهداً:
 أن اروى قصتها كما أرادت، بلا تزييف، بلا تخفيف، بلا
 صمت.
 رأيت الحرز في يدي يدعوني الى اكمال ما بقي من حكاية
 معجونة بالدم:
 وفهمت أخيراً سرَّ إصرارها.
 لم تكن تكتب لتنجو.. بل لتبقى.

وها أنا أكتب الآن،
 لا لأختم حكايتها،
 بل لأفتح الصرخة التي تركتها خلفها.

بهذه البصمة...
 بهذه الورقة الصامته...
 أعلن أن حياة لم تنته.

قصتها بدأت هنا...

**

انتهت



نتابعُ ما يؤولُ له المصيرُ
لبنتٍ عمرها حرزٌ صغيرُ

تشتتَ في روايتها مساري
وحبلُ الصبرِ سيديتي قصيرُ

*

تماهى الظلمُ بالقدرِ المُبِيرِ
بخاتمةٍ وأجفلَ بالمصيرِ

وهذا ما يكونُ وما نراهُ
لناسٍ بيننا وبلا ضميرِ

الشاعر الحاج عطا الحاج يوسف

تابعت أجزاء هذه الرواية بالكثير من الشغف، فالأسلوب المتقن في الكتابة يجعل القارئ متشوقاً للمزيد. ما يجذب القارئ هو استلال الأحداث من واقع يعرفه الكثير منا، تسلط عم شرير على عائلة فقدت معيها. شخصياً أعرف حالة مثل هذه، ولكن ليس عمًا بل ابن عم، تجبر على ابنة عمه فدمر حياتها كلياً القصص النابعة من الواقع لها أثر بليغ في النفس خاصة إذا صاحبها أسلوب رفيع في التعبير عنها يفهم مداخل النفس البشرية بدقائقها.

شكراً على امتاعنا بالقراءة سيدتي المبدعة

الشاعر عادل الحنظل

هذه الطاقة السردية المتفجرة والقدرة على الاسترسال في التعبير عن كوامن النفس البشرية والمقدرة العالية على الإسهاب والإطناب دونما كلل كلها أدوات ضرورية لفنّ كتابة الرواية ولكنّ الانغماس المفرط بالواقعية سلاحٌ ذو حدين فقد يجبرنا على التخلي عن عنصر الخيال كذلك فإنّ قلة شخوص الرواية مع محدودية الاحداث يجعل كاتبها يسهبُ في الكلام عن الأفكار بدل الحوار بين الشخصيات.

تمتلك الادبية المبدعة سعاد الراوي كل (ادوات الآلة) كما يُقال أي الموهبة والشغف واللغة والعزيمة ولا تحتاج سوى قليلٍ من الابتعاد عن مدرسة الواقعية الاشتراكية او الموازنة بينها وبين المدارس الأخرى.

الشاعر مصطفى علي

الفصل الاخير تكاملت فيه فصول المأساة التراجيدية , بهذه القسوة الظالمة، الحدث السردي برع الى القمة في تقنياته الفنية، والصور المرعبة، التي تدل بأن الضعيف والفقر، لا يستطع مقاومة جبروت الشراسة والظلم، مهما دافع بكل قوته وارادته، فالجهة المقابلة اقوى واشرس بوحشيتها البشعة، لا ترحم حتى كرامة الانسان وقيمه الإنسانية، حياة لا ترحم، مثل ما فعل هذا العم الشيطان البشع، الذي يتاجر في الظلام والتهريب والاشياء المحرمة غير المباحة، بكل تأكيد خالٍ من الشرف والضمير والأخلاق، بل وحش كاسر لا يرحم، لقد استغل فقر ومرض شقيقه ذو اخلاق وادب , وبعد موته , اصبح كل شيء في متناول هذا العم الوحشي، الام يراودها في متعته الجنسية وإلا قطع المعونة المالية، حتى اجبرها على الزواج كجارية المتعة، ثم جاء الدور على الابنة ذات عشرة اعوام ليشبع غرائزه الجنسية المحرمة فرضخت لرغباته المحرمة، وحاولت بكل وسيلة ان تحفظ نفسها من هذا الوحش الكاسر، لكن وضع في نصب عقله على اغتصاب ابنة شقيقه المتوفي، في اجبارها على تلبية رغباته المحرمة، حتى اغتصبها وهي في عمر عشرة أعوام، حاولت ان تدافع عن نفسها وشرفها بما لديها من مقاومة، في رفض ان تلطخ حياتها بالعار من عمها المجرم البشع، لكن شراسته الوحشية فازت بما ارادت في

الاغتصاب، والمتعة الجنسية المحرمة، تركها في حالة تعيسة بالحزن والدموع والدماء، ثم جاء التهديد، إن كشفت الفعل الشائن والمحرّم، سيقوم بغسل العار، هذا التهديد اصاب الطفلة في هلع وخوف، وكره شديد لهذا العم الجاني، وهي تحاول ان تتوارى عن انظاره عن دخوله الى البيت، يعني دخول الشيطان الى الخراب. وتركها بعد الاغتصاب في حالة سيئة بالحزن والدموع والدم، فتدهورت صحتها الى الاسوأ وهذا العم المجرم الوحشي لم يتوقف في محاولاته، والتهديد بغسل العار، الذي هو ارتكبه ببشاعة متناهية، ثم باعها الى الذين يفتشون عن المتعة المحرمة، بحجة الزواج، ولكن تكمن الحقيقة حين يصاب المجتمع بالخراب، تتهاك القيم والأخلاق، ويطلق عنان مجاهدي النكاح، ان يشبعوا غرائزهم الجنسية بشكل شرس ووحشي، لقد تمنى الموت (حياة) ابنة عشرة أعوام، وساءت حالتها الصحية والنفسية، والحرز الذي لا يحفظ من الشر، استخدم لدس تفاصيل اسرار حياتها وبشاعة العم واساليبه الوحشية تجاهها وتجاه امها ، تكون دليل عار قاطع لهذا العم المجرم والوحشي بعد مماتها، وخطفها الموت نتيجة حياتها الظالمة والبشعة من هذا العم الوحشي، والحرز يحفظ اسرارها، ليأتي اليوم لكي تنكشف به الحقائق بالغدر والخيانة بشكل ظالم وقاسي.... السرد الروائي يملك ديناميكية مرهفة الى ذروة النار المتصاعدة، كما تتصاعد النار في الهشيم

الناقد جمعة عبدالله

شرفه من لهيب الكلمات نطل منها على ما يؤرق الحاضر
المضرب ببراكين العنف المتهتك ضد الطفولة التي تخفق
كجناح مدهول من سفاهة وسفاحة الكبار!

بذكاء سردي، اختارت المؤلفة تجريد الحكاية من محددات
الجغرافيا والزمان الصارمة، مما منح النص صبغة "كونية".
هذا التجريد، يحول الانهيار الذي تصفه الرواية إلى حالة
إنسانية عامة.. فالفوضى هنا ليست حدثاً عارضاً، بل هي
المناخ الذي تنكشف فيه الحقيقة حين تسقط الأقنعة والمؤسسات
(القانون، العرف، السلطة).

اللغة في الرواية ليست مجرد أداة لنقل الأحداث، بل هي لغة
مشحونة بالاستعارات التي تعيد ترتيب الأحداث بالثق وفطنة
يمثل "الحرز" في النص استعارة كبرى للأسرار التي يحملها
الإنسان في صدره للحماية أو للاختباء.. إنها رواية عن
"العنمة" التي تُولد في قلبها الحكايا. الكاتبة تبرع في تشريح
سيكولوجية الضحية (حياة)، ليس من باب الاستجداء العاطفي،
بل من باب القوة الكامنة تحت الركام. "حياة" لا تبحث عن
النجاة الفردية، بل تبحث عن "المعنى"، وهنا يكمن جوهر
العمل: كيف يتحول الألم من عبء شخصي إلى شهادة تمنح
صاحبها الخلود..

تتميز الرواية بنبرة حزينة لكنها متماسكة، حيث تبتعد عن
التقريرية المباشرة في تناول قضايا العنف ضد الطفولة.. فقد
استطاعت الراعي أن تجعل من الصمت والدم أدوات تعبيرية
تتفوق على الكلمات.. ففي اللحظة التي تعجز فيها "حياة" عن
كتابة جملتها الأخيرة، يصبح دمها هو النص الأكثر صدقاً. هذا

الانتقال من "اللغة المكتوبة" إلى "اللغة الوجودية" (الدم/الأثر) يمثل ذروة النضج السردي في الرواية.. إن رواية "الحرز" نص أدبي عن الروح التي ترفض الانكسار.. وهي عمل يغوص في المناطق الرمادية بين اليأس والمعجزة، ويقدم رؤية نقدية للمجتمع الذي يتستر خلف المظاهر.. بينما يمارس الرذيلة في الخفاء. إنها إضافة نوعية للمكتبة الروائية العربية التي تتناول القضايا الاجتماعية بعمق فلسفي ولغة أدبية رفيعة، تجبر القارئ على أن يكون شريكاً في الشهادة، لا مجرد متلقٍ سلبي. الرواية.. انتصار للأثر على العدم، وللمعنى على الفوضى...

الشاعر طارق الخلفي



الكاتبة في سطور



وُلدت في مدينة النجف، و... لها
على نبض الفن والفكر.

بدأت مسيرتها العلمية ب... ونة
بالشغف للكلمة وتوثيق الحقيقة، غير أن الظروف السياسية
العاصفة أواخر السبعينات أرغمتها على مغادرة العراق،
فكانت الهجرة قدرًا فرضته المبادئ.

لم توقفها المنافي، بل كانت منطلقًا جديدًا لمسيرة حياتها؛
فحصلت على درجة الماجستير في الاقتصاد السياسي من
بلغاريا، وواصلت رسالتها المعرفية بالتدريس في جنوب اليمن
ثم ألمانيا.

في موازاة ذلك، خاضت غمار الإبداع العملي والفني،
فتخصّصت في فن التصميم والخياطة، وعملت بهما في عدة

دول، لتكون ألمانيا محطتها الأخيرة في هذا المجال تاركة بصمتها الخاصة

تنوعت خبراتها في ألمانيا بين الترجمة والعمل وفي المجالات الاجتماعية والتربوية.

أحبت الأدب وشغفت به منذ نعومة أظفارها. لها مساهمات أدبية ونقدية. نشرت وتنشر في عدد من الصحف والمواقع الإلكترونية.

صدر لها

* رواية بعنوان بين غريبتين، الجزء الأول / دار آرس - المانيا 2025؛

* الرجل الذي سبق الثورة" الجوانب الإنسانية في سيرة سلام عادل. / دار آرس - المانيا 2025؛

* نزع الخاتم / دار آرس - المانيا 2025.

لها تحت الطبع:

** ثلاث مجموعات قصصية

الفهرست

العنوان	الفصل	الصفحة
توطئة		1
المقدمة		4

الاول	1	10
الثاني	2	20
الثالث	3	26
الرابع	4	32
الخامس	5	38
السادس	6	42
السابع	7	48
الثامن	8	54
الورقة الاولى		62
الورقة الثانية		66
الورقة الثالثة		72
الورقة الرابعة		78
الورقة الخامسة		84
الورقة السادسة		90
الورقة السابعة		96
الورقة الثامنة		100
الورقة التاسعة		104
الورقة العاشرة		112
اراء وملاحظات الكتاب		118
والنقاد على الرواية		
الكاتبة في سطور		126



لا تُحيل رواية «الحرز» إلى بلدٍ محدّد أو زمنٍ مُسمّى، بل تضع القارئ داخل فضاء إنساني منكشف، حيث تتهار الدولة، وتتفكك القوانين، وتخرج المسكوتات من ظلالها. في هذا الفراغ، لا تعود الهوية السياسية هي الأساس، بل الجسد الإنساني المعرّض، والصوت الذي يُقمع، والذاكرة التي تحاول النجاة.

الرواية شهادة أدبية عن الطفولة المُنتهكة، والعنف المسكوت عنه، وكيف تتحوّل الفوضى الاجتماعية والدينية إلى غطاء منظم للجريمة.

المؤلفة